مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 80 – أبريل 2026

Volume 23 – issue 80 – April 2026

Pages 99 - 166 الصفحات 99 - 166

علاقة الإيمان بحسن الخلق – دراسة تأصيلية

نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام أنموذجاً

"The Relationship Between Faith and Good Character: A Foundational Study

Prophet Yūsuf (peace be upon him) as a Model"

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8004

د. جواهر بنت هداية الله أمين الله مخدوم

Dr. Jawāhir bint Hidāyatullāh Amīnullāh Makhdūm

الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة طيبة تخصص: العقيدة

Assistant Professor, College of Arts and Humanities

at Taibah University – Specialization: Creed ('Aqīdah)

Email: JMAKHDOOM@taibahu.edu.sa

Date of Receipt - 2025/12/20 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/01/04 – تاريخ القبول

إعداد: د. جواهر بنت هداية الله أمين الله مخدوم
الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة طيبة تخصص: العقيدة

Dr. Jawahir bint Hidayatullah Aminullah Makhdum
Assistant Professor, College of Arts and Humanities
at Taibah University – Specialization: Creed Aqidah
JMAKHDOOM@taibahu.edu.sa

علاقة الإيمان بحسن الخلق دراسة تأصيلية نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام أنموذجاً

«The Relationship Between Faith and Good Character: A Foundational Study Prophet Yusuf (peace be upon him) as a Model»

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8004

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/١٢/٢٠ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/١/٤

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الهادي لأحسنِ الأقوال والأعمال والأخلاق، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد الذي أرسل ليتمم مكارم الأخلاق.

أما بعد:

لا شك أن حسن الخلق في ديننا له علاقة كبيرة بالإيمان، فالإيمان هو أساس شجرة الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ﴾ (سورة إبراهيم: الآية:٢٤)

فالإيمان بالله هو الذي يحث الفرد والمجتمع على حسن الخلق فيثمر هذا الإيمان حياة سعيدة للفرد والمجتمع، فإن أخلاق المؤمن عبادة، ومرجعه فيما يأخذ ويدع هو أمر الله ونهيه، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام – هم أكمل الخلق إيماناً ضربوا أروع الأمثلة في مكارم الأخلاق،

وظهـرت تلك الأخلاق جلية في حياتهم ولذلك أمرنا الله بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم كما قال تعالى: ﴿أولئك الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (سورة الأنعام: الآية:٩٠).

وقد وقع الاختيار- بفضـل الله وحده- على نموذج من سـير الأنبياء وهو نبي الله يوسـف عليه الصلاة والسلام لما في قصته من دلالات واضحة تدل على أثر العقيدة والإيمان في ظهور الأخلاق الفاضـلة، ومن خلال تتبّع النصـوص الشرعية الواردة في سـيرته، يتبيّن لنا بوضوح أثرُ العقيدة الصـحيحة والإيمان الراسـخ في ترسـيخ مكارم الأخلاق وظهور الفضائل السلوكية، مما يجعله قدوةً صالحة يُقتدى بها في الخُلُق والسلوك.

ويؤكد ذلك ما هو مقرر عند أهل السـنة والجماعة، من أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الأخلاق ثمرةٌ من ثمار العقيدة السليمة، تقوى بقوتها وتضعف بضعفها.

الكلمات المفتاحية:

الإيمان - الخلق - الحسن - يوسف - القول - العمل.

Research Summary

manners

May peace and blessings be upon our Prophet Muhammad, who was sent to perfect noble character.

To proceed:

There is no doubt that good character in our religion is strongly connected to faith. Faith is the foundation of the tree of virtuous morals. Allah, the Exalted, says:

«Have you not considered how Allah presents an example: a good word is like a good tree-its roots are firm and its branches reach the sky.» (Ibrahim: 24)

Faith in Allah is what encourages both individuals and societies to uphold good conduct, and this faith results in a happy life for both. A believer's morals are an act of worship, and in all that he accepts or refrains from, he refers back to Allah's commands and prohibitions. The prophets-who possessed the most complete faith-set the finest examples in noble character, and these virtues were clearly evident throughout their lives. For this reason, Allah commanded us to follow them and be guided by their path, as He said:

«Those are the ones whom Allah has guided, so follow their guidance.» (Al-Anam: 90)

If this is a command directed to the Messenger ﷺ, then his Ummah follows him in what he legislates and commands.

In this research, the connection between faith and good character becomes clear. I have chosen a model from the life of the Prophet of Allah, Yusuf (peace be upon him), to emulate his conduct and character. This demonstrates that faith consists of both speech and action, and that morals stem from a sound, pure creed that strengthens or weakens accordingly.

Keywords: Faith - Character - Goodness - Yusuf - Speech - Action

المقدمة:

الحمد لله الذي أرشد إلى الصراط المستقيم، ومدح الخلق العظيم، وأرسل نبيه محمداً ﷺ متمماً لمكارم الأخلاق، وأدبه فأحسن تأديبه على الإطلاق ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية:٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

لا شك أن للإيمان منزلة عظيمة، ومكانة عالية رفيعة، فهو أهم المهمات، ومن أوجب الواجبات، وهو القوة الدافعة للأخلاق والمكْرمَات، والقوة العاصمة من الوقوع في الزلات والدنيَّات، وله الأثر الكبير البالغ في ضبط الأفعال والتصرفات، من فعل للخيرات، وترك للمنكرات، وفي هذا يقول أهل العلم : «الإيمان يشمل عقائد الدين، وأخلاقه، وأعماله الظاهرة والباطنة، ويترتب على ذلك أنه يزيد بزيادة هذه الأوصاف والتحقق بها، وينقص بنقصها، وأن الناس في الإيمان درجات متفاوتة بحسب تفاوت هذه الأوصاف»[(١)].

وبالجملة: فإن كُلَّ خيرٍ ديني أو دنيوي، يرجع إلى الإيمان وكماله، وكل فسادٍ وشرٍ، يرجع إلى ما يناقضه أو ينقص منه.

والإيمان قول وعمل، ومما يدل على ذلك:

١- أن الإسلام جمع بين الإيمان والعمل الصالح في أكثر من ثمانين موضعاً

كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (سورة العصر: الآية:٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (سورة النساء: الآية:١٢٤)، فهما قرينان لاينفكّ أحدهما عن الآخر. والعلاقة بينهما كالعلاقة بين البذرة والماء، لا وجود للنبات بدون أحدهما.

٢-أن الإسلام ربط بين الإيمان والأخلاق الحسنة، فإن من مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلقٍ حسن، ولذلك نجد اقتران عقيدة الإيمان بالأخلاق الحسنة كما في قوله

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٥٢.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: الآية:١١٩) وقوله: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (سورة المائدة: الآية: ١).

فهذا دليل على أن الأخلاق الفاضلة دليل على الإيمان.

ومما يؤكد أهمية هذا الجانب في منهج السلف أن العلماء منذ القرون الأولى الذين ألّفوا في باب العقيدة ختموا كتاباتهم بذكر كثير من الجوانب الأخلاقية السلوكية للدلالة على أن هذا الدين قول وعمل واعتقاد وأن منهجهم ليس نظريا فقط بل هم مع هذه الأصول يدعون إلى الأخلاق الحسنة، والآداب الكريمة.

من الأمثلة على ذلك:

١- قول الامام المُزني[١] - رحمه الله - في رسالته شرح السنة ختمها بذكر جملة من الأخلاق التي ينبغي التخلق بها مع الاعتقاد الصحيح فقال: «وَاجْتنَاب الْمَحَارِم والاحتراز من النميمة وَالْكذب والغيبة وَالْبَغي بِغَيْر الْحقّ وَأَن يُقَال على الله مَا لَا يعلمُ كلّ هَذَا كَبَائِر مُحرمَات.

والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس وَاجْتنَاب الشَّهَوَات، فَإِنَّهَا دَاعِيَة لركوب الْمُحرمَات»[٢].

٢- وقال أبو عثمان الصابوني النيسابوري رحمه الله[٣] «ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والسعي في الخيرات، واتقاء شر عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر»[٤].

٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٥] -في عقيدته الموسومة بالعقيدة الواسطية: «ثم هم- أي أهل السنة-يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَر عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، حتى قال رحمه الله: وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَات. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَة لِلْأُمَّة-إلى أن قال:وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْر عِنْدَ الْبَلَاء وَالشُّكْر عِنْدَ الرَّخَاء وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاء وَيَدْعُونَ إلَى مَكَارِم الْأَخْلَاق وَمَحَاسِن الْأَعْمَال وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْله: ﴿أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا﴾، وَيَنْدُبُونَ إلَى أَنْ

(١) (أبو إبراهيم) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المُزني الإمام العلامة الفقيه الزاهد الورع أعلم أصحاب الشافعي ولد سنة ١٧٥ هـ له مصنفات توفي ٢٦٤هـ ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٢)، البداية والنهاية (٣٦/١١).

(٢) شرح السنة ص٩١.

(٣) (أبو عثمان) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني كان إماما حافظا أحد الأعلام شيخ خراسان في زمانه ولد سنة٣٧٣له مصنفات توفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر في ترجمته: البداية والنهاية(٧٦/١٢)، شذرات الذهب (٢٨٢/٣).

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١١٣.

(٥) (أبو العباس) أحمد بن شهاب الدين بن عبد الحليم (ابن تيميَّة الحراني) الإمام البحر الهُمام شيخ الإسلام وقدوة الأنام ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨ه. ينظر في ترجمته: العقود الدرية في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢، الدرر الكامنة (١٦٨/١).

تَصـلَ مَنْ قَطَعَك، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَك، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَك؛ وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْن، وَصِـلَة الْأَرْحَام وَحُسْـنِ الْجِوَارِ وَالْإِحْسَـانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَابْنِ السَّـبِيلِ وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُـوك؛ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالْبَغْيِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا»[1]

٤-وقـال القنَّوجي -رحمه الله-[2] «ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصـيحة لجماعة الإسـلام ولكل مسـلم، واجتناب الكبائر والزنى، وشـرب الخمر، والسـرقة، وقول الزور، وشهادة الزور، والمعصـية، والفخر، والكبر، والازدراء على الناس، والعجب، والتفاخر بالأنساب، والطعن في الأحسـاب، ويـرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشـاغل بقراءة القرآن، مـع التدبر والإمعان، وكتابة الآثار، ودرس الأحاديث، والتمسك بها في كل حال من السخط والرضا، والنظر في السُّنَّة، مع التواضع والاستكانة، وحسن الخلق وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغِيبة والنميمة »[3].

وهذا الموضـوع سيكشف لنا أثر الإيمان الصـحيح على خلق المرء المسلم، وأن الإيمان إذا وقَر في القلب صـدَّقته الجوارح. «مَن تأمّل الشـريعة في مقاصـدها ومواردها عَلِم ارتباط أعمال الجـوارح بأعمال القلـوب، وأنها لا تنفع بدونهـا، وأن أعمال القلوب أفرض علـى العبد من أعمال الجوارح، وهل يميّز المؤمن من المنافق إلّا بما في قلب كل واحد منهما؟

وعبوديـة القلـب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان».[4]

إشكالية البحث: وفي هذا البحث إجابة على عدة تساؤلات منها:

ما الخُلُق وما أنواعه؟

وبيان حقيقة الإيمان.

وهل القول والعمل متلازمان؟.

وأثر الإيمان في حياة الأفراد والمجتمعات، وبيان مكانة الأنبياء والتأسـي بهم. ومن هو نبي الله يوسف - عليه الصلاة والسلام؟.

وأثر الإيمان في ظهور الأخلاق الجميلة عند نبي الله يوسف عليه السلام من خِلال نصوص القرآن والسنة.

---

(١) العقيدة الواسطية ص١٢٩.

(٢) (أبو الطيِّب) محمد صديق بن حسن القِنَّوْجي البخاري الإمام العلامة المُحقق محيي السنة ولد سنة ١٢٤٨ه وكان آية من آيات الله في العلم والأخلاق الفاضلة توفي سنة ١٣٥٧هـ ينظر في ترجمته: (مقدمة قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر) د. عاصم القريوتي ص١١.

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص١٥٢.

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم: (٢٨٧/٤).

فرأيتُ أنْ أكتب في هذا الموضوع واخترتُ أن يكون العنوان:

«علاقة الإيمان بحسن الخلق -دراسة تأصيلية- نبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام- أنموذجاً

أسباب اختيار الموضوع:

١- بيان وتوضيح الآثار المباركة للإيمان في توجيه السلوك الحسن.

٢- بيان أن هذا الدِّين قولٌ وعملٌ وأن العمل لا ينفك عن الإيمان ...

٣- الحاجة الملحة تدعو إلى إخراج مثل هذا الموضوع بسبب ظهور وتفشي كثير من الأمراض الاجتماعية والنفسية والسلوكية والأخلاقية بسبب ضعف الإيمان.

٤- التقصير الشديد في جانب العمل، والضعف والتكاسل في جانب التطبيق مما أدى لظهور السلوكيات السيئة.

٥- التصدِّي لمحاربة- فكر الإرجاء والمرجئة-[1] الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان.

أهمية الموضوع:

١- تكْمُن أهمية واختيار -هذا الموضوع-في حديثه عن ركنين مهمين من أركان الإيمان ألا وهمَا: الإيمان بالله، والإيمان بالأنبياء والرسل.

٢- بيان أن الإيمان هو الأساس القويم والركن المتين، لقيام شجرة الأخلاق.

٣- الاقتِدَاء والتَّأسي -بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام -في سلوكهم وأخلاقهم، والحرص على السَّير على خُطاهم.

منهج البحث:

اعتمدتُ في كتابة هذا البحث على طريقتين مشهورتين وهما:

المنهج الاستقرائي بتتبع النصوص الواردة من الكتاب والسنة.

المنهج التحليلي بدراسة النُّصوص وتحليلها، وبيان وجه الشاهد منها.

---

(١) المرجئة لغة: من الإرجاء: وهو التأخير والإمهال، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء آية: ٣٦) أي: أمهله. وفي الاصطلاح: كانت المرجئة في آخر القرن الأول تطلق على فئتين، قال ابن عيينة رحمه الله: «الْإِرْجَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ: قَوْمٌ أَرْجَوْا أَمْرَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ، فَقَدْ مَضَى أُولَئِكَ، فَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ الْيَوْمَ فَهُمْ قَوْمٌ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ». انتهى من «تهذيب الآثار» (٢/ ٦٥٩).

خطة البحث:

وتشتملُ على ما يلي: مُقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

- المقدمة:

وتشتمل على أهمية اختيار الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخُلُق وبيان أنواعه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الخلق.

المطلب الثاني: أنواع الخلق.

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان، وبيان التلازم بين القول والعمل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإيمان.

المطلب الثاني: التلازم بين القول والعمل.

المبحث الثالث: التعريف بنبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام[1] -وبيان مكانة الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-والتأسي بأخلاقهم - وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنبي الله (يوسف)-عليه الصلاة والسلام-

المطلب الثاني: مكانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-والتأسي بأخلاقهم.

الفصل الأول: أثر الإيمان في حياة -الأفراد والمجتمعات-وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد.

المبحث الثاني: أثر الإيمان في حياة المجتمعات.

الفصل الثاني: أثر إيمان نبي الله (يوسف عليه الصلاة والسلام) على أخلاقه.

وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: أثر الإيمان على -عفته- عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: أثرالإيمان على -صبره- عليه الصلاة والسلام.

---

(١) اختلف أهل العلم رحمهم الله في الصلاة على غير النبي ﷺ من الأنبياء والرسل، فذهب عامة أهل العلم إلى أنه يصلى على النبيين كما يصلى على نبينا محمد ﷺ، ودليل ذلك ما رواه عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي في شعب الإيمان وابن مردويه من حديث أبي هريرة، وال ب من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِه، فَإِنَّ اللَّه بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي. والحديث صححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٩٦٣). قال العلامة ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام:ص٤٦٣: وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة منهم الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره، وقد حكي عن مالك رواية أنه لا يصلى على غير نبينا ﷺ، ولكن قال أصحابه هي مؤولة بمعنى أنا لم نتعبد بالصلاة على غيره من الأنبياء، كما تعبدنا الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. انتهى.

المبحث الثالث: أثر الإيمان على -صفحه- عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: أثر الإيمان على -وفائه- عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: أثر الإيمان على -كرمه- عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: أثر الإيمان على -صدقه- عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: أثر الإيمان على -أمانته- عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثامن: أثر الإيمان على حكمته- عليه الصلاة والسلام.

المبحث التاسع: أثر الإيمان على بره عليه الصلاة والسلام بالوالدين.

المبحث العاشر: أثر الإيمان على إخلاصه - عليه الصلاة والسلام.

المبحث الحادي عشر: أثر الإيمان على إحسانه - عليه الصلاة والسلام.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات:

فهرس المراجع.

هـذا وأسـأل الله الكريـم رب العرش العظيم، التوفيق والسـداد والرشـاد وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص والفقه في دينه، إنه جَوَادٌ كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخُلق، وبيان أنواعه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الخلق.

الخُلق لغة: «(الْخُلْقُ) بِسُكُونِ اللَّام وَضَمِّهَا السَّجِيَّةُ والطَّبع، والمروءة والدِّين»[1].

ويقال: فلانٌ يَتَخَلَّقُ بغير خُلُقِه، أي يتكلَّفه»[2].

«الخُلُـق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سـورة القلم: الآية:٤) والجمع: أخلاق، لا يكسر على غير ذلك والخُلْق والخُلُق: السَّجيَّة - يقال: خالص المُؤْمنَ وخالق الْفَاجِرَ.، وَفِي الْحَدِيث: (مَا مِنْ شَـيْءٍ يُوضَـعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ[3] وحَقِيقَة الْخُلُقِ: أَنه لصـورة الإِنسـان الْبَاطِنَة وَهِيَ نفْسه وأوصافها وَمَعَانِيهَا المختصـةُ بها بمَنْزِلَة الخَلْق لصُـورَته الظَّاهِرَة وأَوصـافها وَمَعَانِيهَا، وَلَهُمَا أَوصاف حسَـنة وَقَبِيحَةٌ، والثوابُ وَالْعِقَابُ يَتَعَلَّقَانِ بأَوصـاف الصُّورَة الْبَاطِنَة أَكثر مِمَّا يَتَعَلَّقَانِ بأَوصـاف الصُّورَة الظَّاهِرَة، وَلِهَذَا تَكَرَّرَت الأَحاديث فِي مَدح حُسن الْخُلُقِ»[4].

الخُلُـق اصطلاحـاً: بعـد التتبع والاسـتقراء تبين لـي أن الخلق إذا أطلق فإن له تفسـيرين: تفسير عام، و تفسير خاص.

فمن أهل العلم من عرَّف الخُلق بالتفسير العام فقال:» عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسـهولة ويسـر من غير حاجة إلى فكـر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصـدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشـرعًا بسهولة، سُـمِّيت الهيئة: خُلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سُمّيت الهيئة: خلقًا سيئًا»[5].

وقيـل: «وَالْخُلُقُ فِي اصْـطِلَاحِ الْحُكَمَاءِ: مَلَكَةٌ (أَيْ كَيْفِيَّةٌ رَاسِـخَةٌ فِي النَّفْسِ أَيْ مُتَمَكِّنَةٌ مِنَ الْفِكْرِ) تَصْدُرُ بِهَا عَنِ النَّفْسِ أَفْعَالٌ صَاحِبِهَا بِدُونِ تَأَمُّلٍ.»[6].

والذي نستخلصه من هذين التعريفين ما يلي:

١- أن الخُلق صفة تمثل الجانب النفسي.

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٧٩٣/١).

(٢) انظر(: الصحاح للجوهري (١٤٧١/٤) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في حسن الخلق)٣٦٣/٤ حديث رقم :(٢٠٠٢) بلفظ «ما من شيء أثقل في الميزان. «وأبي داوود في كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق)٣٨٩/٢حديث رقم:(٤٧٩٩) وصححه الشيخ الألباني رقم :(٨٧٦).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٨٦- ٨٧).

(٥) التعريفات للجرجاني ص١٠١.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٢/١٩).

٢- أنها راسخة ثابتة أصيلة غير طارئة.

٣-أن الأفعال تصدر عنها بسهولة ويُسر من غير تعنت ولا تكلف.

٤-أن الأفعال تصدر عنها من غير فكرٍ ولا رويّة ولاتردد.

ومن التفسير الخاص لكلمة الخُلُق: قال ابن رَسْلان[١]: «الخُلُق عِبَارَةٌ عَنْ أَوْصَافِ الْإِنْسَانِ الَّتِي يُعَامِلُ بِهَا غَيْرَهُ»[٢] أي: التّخلق بأخلاقِ الشَّرع، والتأدب بآدابه، والالتزام بشرعه.

المطلب الثاني: أنواع الخُلُق:

يمكن تقسيم الأخلاق إلى ثلاثة أقسام وذلك بعدة اعتبارات:

أولاً: باعتبار تعلقها بالذات.

ثانياً: باعتبار أنواعها.

ثالثاً: باعتبارعلاقتها.

أولاً: تنقسم الأخلاق باعتبار تعلقها بالذات إلى: غَريزية جبليَّة طُبِع المرء عَلَيْهَا.

ومُكتسبة اكتسبها المرء وتطبّع بها.

أ- أخلاق غريزية جبليَّة طبيعية طُبع عليها المرء: كما قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس -رضي الله عنه-:[٣] «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمَ وَالْأَنَاةَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا تَخَلَّقْتُهُمَا، أَوْ جَبَلَنِي اللهُ عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ.)[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: [٥] «فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مِنَ الْخُلُقِ: مَا هُوَ طَبِيعَةٌ وَجِبِلَّةٌ، وَمَا هُوَ مُكْتَسَبٌ.»[٦].

ب- أخلاق مُكتسبة اكتسبها المرءوتطبَّع بها: كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف بن علي بن رسلان الرملي، الشافعي، ويعرف بابن رسلان (شهاب الدين، ابو العباس) عالم مشارك في بعض العلوم. ولد برملة فلسطين، ونشأ بها، وتوفي بالقدس في ١٤ شعبان. برع في الفقه، وصنف في القراءات والتفسير. البدر الطالع للشوكاني (٤٩/١).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داوود (٣٤٣/١٢).

(٣) المنذر بن الحارث أو المنذر بن عمرو يقال له الأشج عبد القيس العبدي قدم على النبي ﷺ سنة عشر أو سنة ثمان للهجرة، توفي سنة٤٢هـ.يُنظر في ترجمته: الإصابة (٨٢٣٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٠/٣٩) وقال في مجمع الزوائد :ورجاله رجال الصحيح (٣٨٧/٩)،.وأصل الحديث عند مسلم (٢٦). (ورواه أبو داود ٥٢٥٢ وابن ماجه ٤١٨٧ وحسّنه الألباني).

(٥) (أبوعبد الله) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف (بابن قيم الجوزية) العلامة الكبير الفقيه الأصولي المُحدِّث ولد سنة ٦٩١هـ تلميذ شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتوفي سنة ٧٥١هـ. : البدر الطالع (١٤٣/٢) معجم المؤلفين(١٠٦/٩).

(٦) مدارج السالكين (٣١٥/٣).

عنه[1]: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».[2].

قال ابن القيِّم:»فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ الْخُلُقُ كَسْبِيًّا، أَوْ هُوَ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الْكَسْبِ؟ قُلْتُ: يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ كَسْبِيًّا بِالتَّخَلُّقِ وَالتَّكَلُّفِ. حَتَّى يَصِيرَ لَهُ سَجِيَّةً وَمَلَكَةً» [3].

٢- ثانياً: باعتبار أنواعها: إلى: أخلاقٍ حسنة، وأخلاقٍ سيِّئة:

أ- الأخلاق الحسنة: هي كل خُلق جميل، وينتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعاً.وهذه الأخلاق متنوعة وقد سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[5].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[6].

ب- الأخلاق السيئة: هي كل خُلق قبيح، وينتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعاً.

٣- ثالثاً: تنقسم الأخلاق من حيث علاقتها بالغير إلى قسمين:

خُلُق مع الله سبحانه.

وخُلُق مع عباد الله.

ومن الأدلة الدالة على هذا التقسيم حديث -أبي ذر رضي الله عنه[7]- قال: قَالَ لِي رَسُولُ

---

(١) (أبو سعيد) سعد بن مالك بن سنان الخدري بايع تحت الشجرة ومن أهل الصفة، وفقهائهم توفي سنة ٧٤هـ. يُنظر في ترجمته: الإصابة (٢/٣٥) الخلاصة للخزرجي ص١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقاق) باب (الصبر عن محارم الله) (١٨٣/٧) حديث رقم (٦٤٧٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة)باب (فضل التعفف والصبر) (٧٢٩/٢)حديث رقم: (١٠٥٣).

(٣) مدارج السالكين (٣١٥/٣).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب (أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ) بَابٌ(مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ) (٤٣١/٣)حديث رقم (٢٠٠٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧٧).

(٥) أخرجه أبو داود كتاب (السنة)باب (الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِه) (٢٢٠/٤)حديث رقم(٤٦٨٢) والترمذي كتاب (أَبْوَابُ الرَّضَاع) بَابٌ(مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا) (٤٥٧/٢)حديث رقم (١١٦٢٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٤).

(٦) أخرجه أبو داود كتاب (الْأَدَب)باب (فِي حُسْنِ الْخُلُقِ) (٢٥٢/٤)حديث رقم(٤٧٩٨٢) والترمذي كتاب (أَبْوَابُ الرَّضَاع) بَابٌ(مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا) (٤٥٧/٢)حديث رقم (١١٦٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢١).

(٧) (أبو ذر) جندب بن جنادة الغفاري صحابي جليل من السابقين للإسلام كان رأسا في العلم والعمل والزهد توفي بالربذة سنة ٣٢هـ. الطبقات الكبرى:(٥١٠/٧) ، وتهذيب التهذيب (٢٧٩/٥).

اللهِ ﷺ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

قال الحافظ ابن رجب:[2] «فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله،وحقوق عباده».[3]

قال ابن القيِّم رحمه الله: «حُسْن الْخُلُق قِسْمَانِ:

أَحَدهمَا مَعَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَنْ يَعْلَم أَنَّ كُلّ مَا يَكُون مِنْك يُوجب عُذْرًا وَكُلّ مَا يَأْتِي مِنْ اللَّه يُوجِب شُكْرًا فَلَا تَزَال شَاكِرًا لَهُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ سَائِرًا إِلَيْهِ بَيْن مُطَالَعَة وَشُهُود عَيْب نَفْسك وَأَعْمَالك.

وَالْقِسْم الثَّانِي: حُسْن الْخُلُق مَعَ النَّاس.

وَجِمَاعه أَمْرَانِ: بَذْل الْمَعْرُوف قَوْلًا وَفِعْلًا وَكَفّ الْأَذَى قَوْلًا وَفِعْلًا».[4]

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان وبيان التلازم بين القول والعمل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإيمان.

الإيمان لُغةً: «مَصْدَرُ آمَنَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وهو من الأمن ضد الخوف، وَأَصْل الأَمْنِ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَزَوَال الْخَوْفِ[5].

قال الأزهري رحمه الله[6]: واتَّفق أَهلُ الْعِلْم مِنَ اللُّغَوِيّين وَغَيْرِهِمْ أَن الإِيمانَ مَعْنَاهُ التَّصْدِيقُ»[7] ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ١٧) أي: بمُصدِّقٍ لَنَا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد»[8] وخالف شيخ الإسلام رحمه الله حكاية الإجماع عند اللغويين في تعريفهم للإيمان بالتصديق فعرَّف الإيمان بأنه الإقرار القلبي فقال رحمه الله: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِقْرَارُ؛ لَا مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ. وَالْإِقْرَارُ ضِمْنَ قَوْلِ الْقَلْبِ

(١) أخرجه الترمذي كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في معاشرة الناس)(٣٥٥/٤)حديث رقم (١٩٨٧) وقال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده(١٥٣/٥) رقم (٢١٣٩٢) وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة رقم: (٥٠٨٣).

(٢) (أبو الفرج) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الحافظ المُحدِّث الفقيه الزاهد القدوة ولد ببغداد سنة ٧٢٦ه صاحب التصانيف الكثيرة وتوفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ يُنظر في ترجمته : شذرات الذهب (٣٣٩/٦)، معجم المؤلفين (١١٨/٥).

(٣) جامع العلوم والحكم ص٤٦٩.

(٤) تهذيب السنن لابن القيِّم (١٧١/٧).

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية(٢٣٣/٦).

(٦) (أبو منصور) محمد بن أحمد بن الأزهر كان رأسا في الفقه واللغة ثبتاً ديناً ولد سنة ٢٨٢هـ وتوفي بهراة سنة ٣٧٠هـ.يُنظرفي ترجمته : يُنظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (٣١٦/١٦)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٠).

(٧) تهذيب اللغة :للأزهري (٥١٣/١٥) و انظر : الصحاح للجوهري (٢٠٧١/٥) والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١٥١٨/١) المفردات في ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني(١/ ٩١).

(٨) الصارم المسلول ص٥١٩.

الَّذِي هُوَ التَّصْدِيقُ وَعَمَلِ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ الِانْقِيَادُ»[1].

وأبطل دعوى الترادف بين لفظي الإيمان والتصديق. وذلك من أوجه عديدة منها:

١- أن الصدق يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمُصَدَّقِ فلَا يُقَالُ أَمِنْتُه إِلَّا مِنْ الْأَمَانِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِخَافَةِ بَلْ آمَنْت لَهُ»[2].

٢- «أَنَّ لَفْظَ الْإِيمَانِ فِي اللُّغَةِ لَمْ يُقَابَلْ بِالتَّكْذِيبِ كَلَفْظِ التَّصْدِيقِ، بَلْ الْمَعْرُوفُ فِي مُقَابَلَةِ الْإِيمَانِ لَفْظُ الْكُفْرِ. يُقَالُ: هُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ»[3].

٣-أن لفظ الإيمان لَيْسَ مُرَادِفًا لِلَفْظِ التَّصْدِيقِ فِي الْمَعْنَى، فإن لفظ التَّصْدِيقَ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ خَبَرٍ سواء عَنْ مُشَاهَدَةٍ أَوْ غَيْبٍ وَأَمَّا لَفْظُ الْإِيمَانِ فَلَا يُسْتَعْمَلُ إلَّا فِي الْخَبَرِ عن الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ فَيُقَالُ لِلْمُخْبِرِ آمَنَّا لَهُ وَلِلْمُخْبَرِ بِهِ آمَنَّا بِهِ[4].

٤- «أن الإيمان في اللغة: مشتق من الأمن» الذي هو ضد الخوف، فهو مُتَضَمِّنٌ مَعَ التَّصْدِيقِ وَمَعْنَى الِائْتِمَانِ وَالْأَمَانَةِ؛ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الِاسْتِعْمَالُ وَالِاشْتِقَاقُ[5]، أما التصديق فلا يدل على هذه المعاني

والخُلاصة:

أن الإيمان لغة هو الإقرار القلبي لا التصديق المجرد لأن الإقرار يتضمن التصديق وزيادة عليه من الأعمال القلبية كالثقة والاطمئنان للمُخبر «وهذا الإقرار القلبي والطمأنينة لا تحصل للعبد إلا إذا استقر في القلب التصديق والانقياد»[6] والدليل على أن مجرد الإقرار ليس بكاف أن النبي ﷺ أخبر عن عمه أبي طالب أنه في النار، مع كون أبي طالب قال في لاميته المشهورة:

لقد عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى لِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ

ويقول عن دين الرسول ﷺ:

وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتَ بِأَنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا

لكنه والعياذ بالله لم يقبل هذا الدين، ولم يذعن له، وكان آخر ما قال: إنه على الشرك على ملة عبد المطلب[7].

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٦٣٨/٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧ / ٥٣٠) .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧ /٥٢٩).

(٥) انظر: : مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٢).

(٦) انظر: الصارم المسلول ص٥١٩.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب (إنك لا تهدي من أحببت) ،(١١٢/٦) حديث رقم (٤٧٧٢) ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب (الدليل على صحة إسلام من حضره الموت) (٥٤/١) حديث رقم (٢٤) .

تعريف الإيمان شرعاً:

إن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة أنها مُركّبة من الأقوال والأعمال والاعتقادات، وقد جاء بيان ذلك عن غير واحدٍ من السلف في ذكر حدِّ الإيمان الشرعي أنه اعتقاد وقول وعمل من ذلك:

قول الإمام ابن أبي زيد القيرواني -رحمه الله- [1] «أن الإيمان قولٌ باللسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.»[2]

قول الإمام الحافظ ابن منده -رحمه الله-[3] «الإيمان قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.»[4]

وقول الإمام الحافظ ابن أبي زمنين رحمه الله[5] «وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلْإِيمَانَ إِخْلَاصٌ لِلَّهِ بِالْقُلُوبِ وَشَهَادَةٌ بِالْأَلْسِنَةِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، عَلَى نِيَّةٍ حَسَنَةٍ وَإِصَابَةِ اَلسُّنَّةِ»[6].

وقول الإمام ابن قُدامة المقدسي رحمه الله[7] «الإيمان: قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان.»[8]

ومن أجمع التعريفات التي وقفتُ عليها تعريف -شيخ الإسلام ابن تيميَة رحمه الله حيث يقول:» وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ».[9]

فهذا التعريف اشتمل على خمسة أمور ألا وهي: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

فقول القلب: هو اعترافه وتصديقه.

وقول اللسان: هوالنطق بكلمة التوحيد.

---

(١) (أبو محمد) عبد الله بن أبي زيد الإمام العلامة القُدوة عالم أهل المغرب من كبار فقهاء المالكية كان واسع العلم، كثير الحفظ والرواية توفي سنة ٣٨٦ هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٧/١) شذرات الذهب (١٣١/٣).

(٢) مقدمة ابن أبي زيد ص١٣.

(٣) (أبو عبد الله) محمد بن إسحاق بن محمد بن منده الإمام الحافظ المُحدِّث ولد سنة ٣١٠هـ وكان صاحب سنة وخلق وسخاء، وتوفي سنة ٣٩٥هـ يُنظر في ترجمته: ميزان الاعتدال (٤٧٩/٣)، البداية والنهاية (٣٣٦/١١).

(٤) الإيمان لابن منده(٣٤١/١).

(٥) (أبو عبد الله) محمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي المشهور (بابن أبي زمنين) الإمام الزاهد كان مجانبا للرأي، صاحب إخلاص، من كبار المُحدِّثين توفي سنة ٣٩٩هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧)، الأعلام (٢٢٧/٦).

(٦) أصول السنة لابن زمنين ص٢٠٧.

(٧) (أبو محمد) مُوفَّق الدين ابن قدامة المقدسي الشيخ الإمام العلامة شيخ الحنابلة وكان ثقةً حجةً نبيلاً مشهوراً بالزهد والورع توفي سنة ٦٢٠هـ يُنظر في ترجمته: ، سير أعلام النبلاء (١٦٦/٢٢)، شذرات الذهب (١٥٥/٧).

(٨) لمُعة الاعتقاد ص٢٦.

(٩) العقيدة الواسطية /ص٩.

وعمل القلب: هو عبارة عن تحركه وإرادته؛ مثل الإخلاص في العمل؛ فهذا عمل قلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف؛ فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب.

وعمل اللسان: حركته بالذكر والتلاوة.

وعمل الجوارح: ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيمانًا شرعًا؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان[1].

المطلب الثاني: التلازم ما بين القول والعمل.

غير خاف على أهل الإيمان أن الدين قول وعمل كما قال حافظ الحكمي -رحمه الله-:[2]

اعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلْ ... فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ.[3]

وأن ثمت تلازماً بين الأقوال الظاهرة وأعمال القلوب الباطنة، وهذا هو المتقرَر عند أهل السنة والجماعة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة-رحمه الله-:»وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إيمَانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ»[4] فالأقوال والأعمال قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولايتصور وجود أحدهما دون الآخر، وهذا هو مذهب السلف قاطبةً.

قال ابن عبد البر -رحمه الله -:[5] «أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ».[6]

وقال الإمام البغوي -رحمه الله: -[7] «اتَّفَقَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَالُوا: إِنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ، وَعَمَلٌ، وَعَقِيدَةٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ».[8] وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: «وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل. وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث. وقد حكى الشافعي[9] إجماع الصحابة والتابعين

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين رحمه الله(٢/٢٣١).

(٢) حافظ بن أحمد الحكمي ولد سنة ١٣٤٢هـ طلب العلم منذ صغره وكان زاهداً ورعاً توفي سنة ١٣٧٧هـيُنظرفي ترجمته: كتاب (الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده) لزيد المدخلي -رحمه الله- من (١-٢٥).

(٣) سلم الوصول إلى علم الأصول ص٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى (٧/٢٢١).

(٥) (أبو عمر) يوسف بن عبد الله الـ مري المشهور (بابن عبد البر) الإمام الفقيه المالكي المؤرخ الأندلسي ولد سنة ٣٦٨هـ كان فقيهاً عابداً مجتهداً وتوفي سنة ٤٦٣هـ.يُنظرفي ترجمته: وفيات الأعيان (٧/٦٦)، سير أعلام النبلاء (١٨/٨٥).

(٦) التمهيد (٩/٢٣٨) وبقية كلامه : إِلَّا مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الطَّاعَاتِ لَا تُسَمَّى إِيمَانًا قَالُوا: إِنَّمَا الْإِيمَانُ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ.

(٧) (أبو محمد) الحسين بن مسعود الفراء البغوي الملقب ب (مُحيي السنة) الإمام المُحقق كان فقيهاً زاهداً يعتبر عالم أهل خراسان توفي سنة ٥١٦هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩)، شذرات الذهب (٤/٤٨).

(٨) شرح السنة (١/٣٨-٣٩).

(٩) أَبُو عَبْد الله القُرَشِيُّ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بن العَبَّاس الإِمَامُ، عَالِمُ العَصْرِ، نَاصِرُ الحَدِيْث، فَقِيْهُ المِلَّة قال أَحْمَد: كَانَ الشَّافِعِيُّ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ وترجمته ومناقبه عظيمة جدا -ينظر سير أعلام النبلاء(١٠/٥)، مناقب الشافعي للبيهقي.

عليه، وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضا».[1]

وقد تنوعت عبارات سلف هذه الأمة لتقرير هذا الأصل العظيم في كتاباتهم بأحكم العبارات، وأدق الكلمات، وأوجز التقعيدات تارة:

١- بتقريرهم لوجوب التلازم بين القول والعمل:

قال سفيان بن عُيينة:[2] «الإيمان قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ».[3]

٢- بنفي قَبول الأقوال بلا أعمال والأعمال بدون أقوال:

قال ابن بطَّة[4] «وإن اللَّهَ لَا يَقْبَلُ قَوْلًا إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِقَوْلٍ.».[5]

٣- بنفي صحة الإيمان بلا عمل:

قال الامام الآجُرِّي -رحمه الله-[6] «لَا يَصِحُّ الدِّينُ إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَالْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ.»[7]

٤- بنفي الاستقامة والنفع والصلاح للإيمان:

قال الإمام الأوزاعي-رحمه الله-: [8] «لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ»[9]

وعن الزهري:[10] «-رحمه الله-: «والإيمان قول وعمل قرينان، لا ينفع أحدهما إلا بالآخر»[11]

وتارة بعدم إجزاء الإيمان إلا بالعمل

---

(١) أَبُو ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمُ بنُ خَالِدٍ الكَلْبِيُّ الإِمَامُ، الحَافِظُ، الحُجَّةُ، المُجْتَهِدُ، مُفْتِي العِرَاقِ، أَبُو ثَوْرٍ الكَلْبِيُّ، البَغْدَادِيُّ، الفَقِيْهُ.وَيُكْنَى أَيْضاً: أَبَا عَبْدِ اللهِ. قَالَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ عَنْهُ: هُوَ عِنْدِي فِي مِسْلاَخِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَقَالَ النَّسَائِيُّ: ثِقَةٌ، مَأْمُوْنٌ، أَحَدُ الفُقَهَاءِ. تهذيب الكمال: ٥٤، الوافي بالوفيات ٥ / ٣٤٤، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ٧٤.

(٢) (أبو محمد) سفيان بن عُيَيْنة الهلالي الكوفي، ثم المكي الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام ولد بالكوفة ١٠٧هـ كان صاحب سنة واتباع توفي سنة ١٩٨هـ يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٧٨)، (تهذيب التهذيب) (٤ /١٠٥).

(٣) الشريعة (٢/٦٠٤).

(٤) (أبو عبد الله) عبيد الله بن محمد المشهور (بابن بطة العكبري) الإمام المصنف الحنبلي ولد سنة ٣٠٤هـ وكان صالحاً زاهداً مستجاب الدعوة توفي سنة ٣٨٧هـ يُنظر في ترجمته: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٠-) طبقات الحنابلة (٢ /١٥٢)، سير أعلام النبلاء (١٦ /٥٢٩)..

(٥) الإبانة (٢/ ٧٩٢).

(٦) (أبو بكر) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُري هو الإمام المُحدِّث الكبير شيخ الحرم الشريف كان صدوقاً خيرا عابدا صاحب سنة واتباع توفي سنة ٣٦٠هـ. يُنظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٢/٢٤٣) وفيات الأعيان (٤/٢٩٢).

(٧) الشريعة (٢/ ٥٥٦).

(٨) (أبو عمرو) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي عالم أهل الشام ولد سنة ٨٨هوكان رحمه زاهداً ورعاً تقيا قيل الكلام كثير البكاء وتوفي سنة ١٥٧هـ يُنظر في ترجمته: وفيات الأعيان (٣/١٢٧)، البداية والنهاية (٦ /١١٨).

(٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٨٨٦).

(١٠) (أبو بكر) محمد بن مسلمين عبيد الله الزهري عالم الحجاز والشام أحد الأئمة الأعلام مات ١٢٤ه ينظر في ترجمته الخزرجي في الخلاصةص٣٩٥

(١١) الإيمان لابن تيميَّة ص٢٣١.

قال الآجُرِّي -رحمه الله:» الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ تَصْدِيقًا يَقِينًا، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، لَا يُجْزِئُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ»[1].

فهذه الآثار من هؤلاء الأئمة الأجِلاَّء تدل على تقريرهم لهذا الأصل العظيم وأن الإيمان مُركَّب من القول والعمل.

المبحث الثالث:

التعريف بنبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام-وبيان مكانة الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام -والتأسِّي بأخلاقهم- وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنبي الله (يوسف) -عليه الصلاة والسلام-

«يُوسُفُ بِضَمِّ السِّينِ وَكَسْرِهَا وَفَتْحِهَا مَعَ الْهَمْزِ وَتَرْكِهِ فَهِيَ سِتَّةُ أَوْجُهٍ»[2].

يوسف عليه الصلاة والسلام هو: «النبي الكريم الذي تناسل من ثلاثة أنبياء، وهو الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ»[3]

وأصل هذا ما جاء في الصحيحين عن الرسول ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» عليهم صلوات ربي وسلامه عليهم -وهذه الرواية هي الأصل وقد وردت رواية أخرى في صحيح مسلم لكنها مختصرة «نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله»[4]

وهوأحد أنبياء بني إسرائيل وكان له أحد عشر أخاً، واتصف بالكرم والجمال وحسن الأخلاق، وقد وردت قصة هذا النبي الكريم في سورة تتلى إلى يوم الدين، سميت باسمه وهي سورة يوسف التي تحدثت عن حياته ونشأته، وأخلاقه الكريمة وموقفه من إخوته.

المطلب الثاني: مكانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والتأسي بأخلاقهم.

لا شك أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لهم مكانة عظيمة، ومنزلة سامية في الإسلام فهم صفوة الخلق الأخيار، وأتم الخلق عبودية لله الواحد القهار، البررة الأطهار، يهدون بأمر الله العزيز الجبار، وهم حملة وحيه، ومبلِّغوا شرعه، وحجة الله على خلقه، ودعاة الخلق إلى عبادته وتوحيده، بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة وأقاموا الحجة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، فهم أعلام الهدى، وأئمة التقى، اصطفاهم الله على علمه، وربَاهم على عينه، وجعلهم

(١) الشريعة (٢/ ٦٨٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٣٤).

(٣) تاريخ الأنبياء لمحمد النجار ص١٢٥.

(٤) أخرجه(البخاري) كتاب (الأنبياء) باب (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) (٤/ ١٥١)رقم (٣٣٢٣) ومسلم في صحيحه كتاب(الفضائل والسنن)باب (ذكريوسف عليه السلام وفضله)(١/ ٤٩٤) رقم (٢٣٧٨).

للناس أئمة وقدوة، وفضَّلهم على العالمين، فخصَّهم بحمل النبوة والرسالة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحج الآية: ٧٥) وفي هذا يقول ابن القيِّم-رحمه الله-: «ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصَّهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً عليًّا على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه وبالجملة : فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض»[1].

ولأجل هذه المكانة العظيمة، والمنزلة العالية والرفيعة سمّى الله عز وجل الرسالة روحاً: قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الشورى الآية :٤٢).

«فسَعَادَة الْعِبَاد فِي مَعَاشهمْ وَمُعَادهمْ باتِّبَاع الرِّسَالَة. وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ للْعِبَاد لَا بُدَّ لَهُمْ منْهَا وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتهمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ والرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَم وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ فَأَيُّ صَلَاحٍ للْعَالَم إِذَا عَدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ؟[2].

وجَعل الإيمان بالرسل أصلاً من أصول الإيمان: قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: الآية:٨٤).

ومن كفر بهم فقد ضل ضلالاً بعيداً: قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: الآية:١٣٦).

وبيَّن الله أن الكفر برسول واحد معناه كفر بالجميع: قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة الشعراء: الآية:١٠٥)

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة الشعراء: الآية ١٢٣)، وذلك لأن الرسل دينهم واحد ورسالتهم واحدة[3].

---

(١) طريق الهجرتين ص٣٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى (٩٣/١٩).

(٣) (كذبت قوم نوح المرسلين) الذين بعده، وذلـ لأن من كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل إذ أن الوحي واحد.فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحا رسول، وقال تعالى ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين

وقد أمرنا الله بالإيمان بهم جميعاً وعدم التفريق بينهم: قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ آمَنّا بِاللّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىَ وَعِيسَـىَ وَمَا أُوتِيَ النّبِيّونَ مِـن رّبّهِمْ لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سـورة البقرة: الآية: ١٣٦).

ووعد الذين لم يفرقوا بين الرسـل بالأجر العظيم، والثواب الجزيل فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (سورة النساء: الآية: ١٥٢).

وبيَن الله جزاء من سار على هذا النهج وهو التوفيق للهداية: فقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (سورة البقرة: الآية: ١٣٧).

وجعل جزاء من تنكَّب عن هذا الطريق الضلال والشقاق والغواية: فقال تعالى: ﴿وّإِن تَوَلّوْاْ فَإِنّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَـيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: الآية:١٣٧) ولما كانت هذه مكانتهم ومنزلتهم ومقامهم عند الله أمرنا الله باتباعهم، والاقتداء بهم، والسـير على خطاهم ونهجهم قال تعالى: ﴿أولئك الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذكرى لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام: الآية :٩٠).

قـال ابن جرير -رحمه الله-[1] «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْـرُهُ: ﴿أولئك﴾ (الأنعام:٩٠) هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَكَّلْنَا بِآيَاتِنَا وَلَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ لِدِينِهِ الْحَقِّ، حِفْظَ مَا وَكِّلُوا بِحِفْظِهِ مِنْ آيَاتِ كِتَابِهِ، وَالْقِيَامِ بِحُدُودِهِ، وَاتِّبَاعِ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَهْيِهِ، فَوَفَّقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِذَلِكَ..

الله ورسله﴾ فيؤمنون بالله ولا يؤمنون بالرسل أو يفرقون بين الرسل أيضا (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا) «(أن يتخذوا بين ذلك) أي بين الإيمان والكفر (سبيلا) أي طريقا يتخلصون به من هؤلاء وهؤلاء، وذلك صادق تماما على ايه؟ على المنافقين. المنافقون يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (أولئك هم الكافرون حقا) أي أحق ذلك حقا (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا). انتبهوا لهاتين الفائدتين:

الأولى: أن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل.

الثانية : أن من آمن ببعض وكفر ببعض فقد كفر بالجميع.

ويترتب على ذلك من آمن ببعض الشريعة دون بعض. من قال أنا أؤمن بأن الصلاة فرض ركن من أركان الإسلام، لكن لا أؤمن بأن الزكاة ركن من أركان الإسلام، هذا كفر بالجميع. قال الله تبارك وتعالى :أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا». أفاده العثيمين رحمه الله في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (الشريط 11a). وهناك مقدمة تشتمل على أن جميع الرسل كان دينهم الإسلام (مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي).

(١) (أبو جعفر) مُحمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام المفسر المقرئ صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة ولد سنة ٢٢٤هـ بطبرستان وكان ذا زهد وقناعة وتوفي سنة ٣١٠ هـ يُنظر في ترجمته: شذرات الذهب (٥٣/٤) معجم المؤلفين (١٤٦/٩).

﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَبِالْعَمَلِ الَّذِي عَمِلُوا، وَالْمِنْهَاجِ الَّذِي سَلَكُوا، وَبِالْهُدَى الَّذِي هَدَيْنَاهُمْ، وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي وَفَّقْنَاهُمْ، اقْتَدِهْ يَا مُحَمَّدُ: أَيْ فَاعْمَلْ وَخُذْ بِهِ وَاسْلُكْهُ، فَإِنَّهُ عَمَلٌ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا، وَمِنْهَاجٌ مَنْ سَلَكَهُ اهْتَدَى»[1].

قال أهل العلم: «وَإِذَا كَانَ هَذَا أَمْرًا لِلرَّسُولِ ﷺ، فَأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ فِيمَا يُشَرِّعُهُ لَهُمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِهِ.»[2]

فيجب علينا جميعا -معشر المؤمنين والمؤمنات- توقيرهم وتعظيمهم والاقتداء بهم والتأسي بجميل أفعالهم وأقوالهم، وبمكارم أخلاقهم والاهتداء بهديهم والتمسك بسنتهم واتباعهم فيما جَاءُوا به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «حقوق الأنبياء في تعزيرهم وتوقيرهم ومحبتهم محبة مقدمة على محبة النفوس والمال والأهل، وإيثار طاعتهم ومتابعة سننهم ونحو ذلك»[3].

وهذا من حقوقهم، لأن الله جعلهم أئمة يهتدى بهم كما قال قتادة -رحمه الله-[4] في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ﴾ (سورة الأنبياء: الآية ٧٣) جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي أَمْرِ اللهِ[5].

وأخيراً: هذا غيضٌ من فيضٍ مما ورد -في مكانتهم وعلو شأنهم وجلالة مقامهم- مما أوجب علينا الاقتداء والتأسي بهم.

---

(١) جامع البيان (٥١٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٩٩/٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٤/٢).

(٤) (أبو الخطاب البصري) قتادة بن دعامة السدوسي قُدوة المفسرين تابعي جليل، كان من أوعية العلم، توفي سنة ١١٧هـ يُنظر في ترجمته: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢٩/ ٢٣١)، الخلاصة للخزرجي ص ٣١٥.

(٥) جامع البيان (٤٧٢/١٨).

الفصل الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد والمجتمعات وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الإيمان في حياة الأفراد:

لا شك أن القلب هو الأساس، وهو ملك الأعضاء وأشرفها على الإطلاق، بل هو موضع الإيمان والمعرفة، وآنية العلم والتوحيد، ومركز الاعتقادات، ومحل العزائم والإرادات، ومصدر السلوك والتوجيهات، ومنبع الشرور والخيرات، فبصلاحه يصلح العمل، وبفساده يفسد. «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[1].

والقلب الذي يؤثر فيه الإيمان ليس أي قلب،إنما هو القلب الحي السليم[2]، الذي عُمر بالعلم والإيمان والتوحيد، وسلِمَ من المعارضات كالشبهات والشهوات، قلبٌ من أبرز صفاته: اللين والطهارة والإنابة، والقلب الليِّن ينتفع بالمواعظ ،طاهر من الأدران، مطمئن منشرح الصدر ،مستأنس بالله ،منيب تائب إلى ربه ومولاه، فهو الذي ينتفع بنور الهداية ،فإذا قذف الله في قلبه هذا النورتحركت على إثره الجوارح، وبحسب قوة هذا النور وضعفه تظهر المحاسن والمساوي، لأن كل إناء بما فيه ينضح ، فاذا استقر الإيمان في قلب العبد ، وخالط بشاشته، وامتلأ قلبه بأنوار المعارف والمحبة والإخلاص، ومشاهدة آثَار الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ والكمال ،انبعث أثر ذلك على الجوارح فانقادت للأوامر والنواهي ،وأقبلت لعبادة ربها ومولاها وسيدها ، وسارعت إليه قولاً وعملاً وأثمرت كل خير -بإذن ربها- من الخلال الحميدة، والصفات النبيلة ،والأخلاق الجليلة،فمن هذه الثمار:

١ -حلول الهداية في قلبه:

كما قال تعالى:﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (سورة التغابن: الآية :١١). قال عَلقمة رحمه الله[3]:«هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»[4].

وقال ابن عباس[5]: رضي الله عنهما: «يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الإيمان،) باب (فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٨) حديث رقم :(٥٢)، ومسلم في كتاب (المساقاة،) باب (أخذ الحلال وترك الشبهات) (٣/ ١٢١٩) حديث رقم :(١٥٩٩).

(٢) ﴿إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أَيْ: سَالِم مِنَ الدَّنَس وَالشِّرْك. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سيرينَ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّه يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: ﴿إِلاَ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ حَيِي (٥) يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّه.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَغَيْرُهُمَا: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يَعْنِي: مِنَ الشِّرْك. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّب: الْقَلْبُ السَّلِيمُ: هُوَ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ، وَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِن؛ لأَنَّ قَلْبَ [الْكَافِرِ وَ] (٦) الْمُنَافِقِ مَرِيضٌ، قَالَ اللَّه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (الْبَقَرَة:١٠). وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ: هُوَ الْقَلْبُ الْخَالِي مِنَ الْبِدْعَةِ، الْمُطْمَئِنُّ إِلَى السُّنَّة.- تفسير ابن كثير (١٤٩/٦).

(٣) (أبو شبل) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الإمام الحافظ المجتهد الكبير فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها ونزل الكوفة ولازم ابن مسعود (هو أحد المخضرمين) توفي سنة ٢٠١هـ يُنظر في ترجمته: حلية الأولياء (٢٤٧/٢) سير أعلام النبلاء (٥٣/٤) الإصابة في تمييز الصحابة (١٠٥/٥).

(٤) جامع البيان:(٤٢١/٢٣).

(٥) (أبو العباس الهاشمي) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب -ابن عم رسول الله ﷺ حَبر هذه الأمة وبحرها -ولد قبل

وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.»[1].

وقال أبو عثمان الحيري:[2] مَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ لاتِّبَاعِ السُّنَّةِ.»[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(سورة الحج: الآية: ٥٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ (سورة يونس: الآية :٩) يهديهم المولى صراطه المستقيم، ويوفقهم لهديه القويم، والعمل بدينه المتين.

٢- انشراح الصدر: كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الزمر: الآية: ٢٢).

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَمِنْهَا: النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللَّه فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ»[4] فإذا أراد المولى هداية عبده المؤمن شرح صدره ووسَّعه، واتسع لقبول الحق، ووفق لاستفراغ جهده في محاب الله ومراضيه، والبعد عن مساخطه ومناهيه.

٣- أنه يحيا حياةً سعيدةً مطمئنةً: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(سورة النحل:الآية:٩٧). «هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّه تَعَالَى لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا -وَهُوَ الْعَمَلُ الْمُتَابِعُ لِكِتَابِ اللَّه تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقَلْبُهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّه وَرَسُولِه، وَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ الْمَأْمُورَ بِهِ مَشْرُوعٌ مِنْ عِنْدِ اللَّه -بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللَّه حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا وَأَنْ يَجْزِيَهُ بِأَحْسَنِ مَا عَمِلَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.»[5]

وقال ابن عاشور رحمه الله: [6]«وَهَذَا وَعْدٌ بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا. وَأَعْظَمُهَا الرِّضَى بِمَا قَسَمَ لَهُمْ وَحُسْنُ أَمَلِهِمْ بِالْعَاقِبَةِ وَالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَعِزَّةُ الْإِسْلَامِ فِي نُفُوسِهِمْ. وَهَذَا مَقَامٌ دَقِيقٌ تَتَفَاوَتُ فِيهِ الْأَحْوَالُ عَلَى تَفَاوُتِ سَرَائِرِ النُّفُوسِ، وَيُعْطِي اللَّه فِيهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَرَاتِبِ هِمَمِهِمْ وَآمَالِهِمْ ،وَمَنْ رَاقَبَ نَفْسَهُ رَأَى شَوَاهِدَ هَذَا.»[7]

الهجرة بثلاث سنين وهو من فقهاء الصحابة وأحد العبادلة توفي سنة ٦٨هـ بالطائف يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء» (٣ /٣٤٥). تقريب التهذيب ص٥٢٠.

(١) جامع البيان: (٢٣/ ٤٢١).

(٢) (أبو عثمان) سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري الشيخ الإمام المُحدِّث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام. ، ولد سنة ٢٣٠ هـ وتوفي سنة ٢٩٨ هـ يُنظر في ترجمته: حلية الأولياء: ١/ ٢٤٤. تاريخ بغداد (٩/ ٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٣٩/١٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد(٢/ ٢٣).

(٥) تفسير ابن كثير(٣٩٨/٢).

(٦) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ولد سنة ١٢٩٦هـ أديب وخطيب ومشارك في علوم الدين، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وتوفي سنة -١٣٩٣ هـ يُنظر في ترجمته: مقدمة التقريب لتفسير التحرير والتنوير تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

(٧) التحرير والتنوير(١٤/ ٢٧٣).

٤-ولايــة الله للعبــد بإخراجه من ظلمات المعصــية إلى نور الطاعة كما قــال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِيــنَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ (ســورة البقرة: الآية :٢٥٧) يقول ابن ســعدي رحمه الله[١] «هذه الآية مترتبة على الآية التي قبلها، فالســابقة هي الأســاس، وهذه هي الثمرة، فأخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله، وصدقوا إيمانهم بالقيام بواجبات الإيمان وترك كل ما ينافيه، أنه وليهم يتولاهم بولايته الخاصــة، ويتولى تربيتهم، فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والغفلة والإعراض، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والإقبال الكامل على ربهم، وينــور قلوبهم بمــا يقذفه فيها من نور الوحي والإيمان، وييســرهم لليســرى، ويجنبهم العســرى، ....»[٢]

ومن ولايــة الله لعبده حفظه من الإرادات الباطلة والتصــورات الفاســدة: كما قــال تعالى: ﴿واعلموا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المرء وَقَلْبِهِ﴾ (ســورة الأنفال الآية :٢٧) قال ابن عباس -رضــي الله عنهما- «يَحُولُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَبَيْنَ طَاعَتِهِ، وَيَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ» [٣].

فيحفظ العبد من الفتن فيتصــور الأشــياء على ما هي عليه ويصرفه عن فعل المعصية بأن يلهمه رشــده، تارة بفســخ عزائمه عن الإقبال لها، وتارة بتثبيطه عن فعلها ، وتارة بصــرف همته عنها، وتارة بعدم قدرته عليها.

٥- نزول الســكينة عليه[٤]: قــال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّــكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (ســورة الفتح: الآية :٤) فالعبد إذا آمن وصــدق مع ربه ومولاه فإن هــذا يثمر له ســكينة في قلبــه عند قلقه وخوفه واضــطرابه،فمن عرف الله فــي الرخاء عرفه في الشدة[٥].

وهذه السكينة تتضمن ثلاثة أمور: حياة قلبه، ونوره، وقوته.

---

(١) (أبو عبد الله) عبد الرحمن بن ناصر السعدي الإمام الجليل ولد سنة ١٣٠٧هـ من كبار علماء أهل نجد كان محباً للخير متواضعاً معلماً داعياً مفتياً توفي سنة ١٣٧٦هـ يُنظر في ترجمته: الأعلام (٣/٢٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن. ص٩٥٤.

(٣) جامع البيان (١٣/ ٤٦٩).

(٤) أَصْلُ السَّكِينَةِ هِيَ الطُّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَالسُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ. فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ.
وَلِهَذَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ إِنْزَالِهَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوَاضِعَ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ. كَيَوْمِ الْهِجْرَةِ، إِذْ هُوَ وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْعَدُوُّ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ. لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَرَآهُمَا. وَكَيَوْمِ حُنَيْنٍ، حِينَ وَلَّوْا مُدْبِرِينَ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِ الْكُفَّارِ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ. وَكَيَوْمِ الْحُدَيْبِيَّةِ حِينَ اضْطَرَبَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ تَحَكُّمِ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ، وَدُخُولِهِمْ تَحْتَ شُرُوطِهِمُ الَّتِي لَا تَحَمَّلُهَا النُّفُوسُ. وَحَسْبُكَ بِضَعْفِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَمْلِهَا - وَهُوَ عُمَرُ - حَتَّى ثَبَّتَهُ اللَّهُ بِالصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُلُّ سَكِينَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ طُمَأْنِينَةٌ، إِلَّا الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. مدارج السالكين(٢/٤٧١).

(٥) روى ابن بشران في أماليه (١٣٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ» وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع(٢٩٦١). (ورواه أحمد (٢٨٠٣) عن ابن عباس)

أمـا حياتـه: فنعيمه وسـروره بالإيمان بربـه، فيجتمع في قلبه نعيمان: نعيـم الإيمان بالله، ونعيم كمال النعيم .

وأما نوره: فيسـتنير بنور الله، فيعرف الحقائق على ماهي عليه ويشاهدها بعين البصيرة ، فينيب إلى ربه ويفعل الطاعات ويترك المعاصي.

وأما قوته: فيقويه المولى بقوته ويقدره بقدرته ،وذلك يظهر جلياً في نشاطه وعزمه وهمته، ومجاهدته وضبطه لنفسه.

هذه صـفاتهم وهـذه أحوالهم لكمال معرفتهم بربهـم وثقتهم به، وهذا هو شـأن المؤمنين الخلّص، وغير ذلك من الآثار المترتبة على الفرد من جرَّاء إيمانه بالله.

المبحث الثاني: أثر الإيمان في حياة المجتمعات:

أمـا عـن أثر الإيمان على المجتمعات فلا شـك أن له أثراً واضـحاً يتضـح ذلك في النقاط التالية:

الترابط والتلاحم:في الصحيحين قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

وفي الصحيحين أيضا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[2].

فهذا هو حال الإيمان يؤثر في وحدة المجتمع والتئام صـفه، فكأنهم جسـد واحد في السراء أو الضراء، وهذا هو غاية المحبة والترابط والتآلف.

قال ابن حجر رحمه الله[3]: إِذَا اشْـتَكَى عُضْـوٌ مِنَ الْأَعْضَاءِ اشْتَكَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا كَالشَّجَرَةِ إِذَا ضُرِبَ غُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِهَا اهْتَزَّتِ الْأَغْصَانُ كُلُّهَا بِالتَّحَرُّكِ وَالِاضْطِرَابِ»[4].

وهـذا هو حال أهل الإيمان مع إخوانهم يرحم بعضـهم بعضـا ويعطـف أحدهم على الآخر، والذي دعاهم لهذا وشيجة[5] الإيمان التي في قلوبهم أحدثت لهم هذا الترابط والتلاحم.

حصـول الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُـوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الأدب) باب (رخمة الناس والبهائم) (٨ /١٠) حديث رقم): ٦٠١١) ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) (٤/ ١٩٩٩) حديث رقم):٢٥٨٦). واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري كتاب (المظالم والغصب) باب (نصر المظلوم)، (٣/ ١٢٩) برقم: (٢٤٤٦)، ومسلم كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) (٤/ ١٩٩٩) حديث رقم: (٢٥٨٥)

(٣) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. أصبح حافظ الإسلام في عصره،الأعلام للزركلي (١٧٨/١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٤٠/١٠).

(٥) الوشيجَةُ ليفٌ يُفْتَل، ثمَّ يُشَدُّ بَين خَشَبَتَيْن يُنْقَلُ به البُرُّ المحصودُ وَمَا أشبهه من شُبَيْكة بَين خَشبتيْن، فَهِيَ وَشِيجةٌ، مثل: الكَسِيح وَنَحْوه.والمُوَشَّجُ: الأمْرُ الْمُداخَلُ بعضه فِي بعْض.

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية :٨٢) قال ابن سعدي رحمه الله: «الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء....»[١].

رحمتهم وصفاء قلوبهم ونقاؤها من الغل والحسد: كما وصفهم الله بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة محمد: الآية:٢٩) قال ابن كثير رحمه الله: « هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ شَدِيدًا عَنِيفًا عَلَى الْكَفَّارِ، رَحِيمًا بَرًّا بِالْأَخْيَارِ، غَضُوبًا عَبُوسًا فِي وَجْهِ الْكَافِرِ، ضَحُوكًا بَشُوشًا فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ[٢].

النصر والتمكين: وهذه من آثار الإيمان الجلية ،نصرهم على أعدائهم.

حيث أخبر-جل وعز-أن نصره للمؤمنين حق عليه لا يتخلف قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الروم: الآية : ٤٧) ووعد أن من ينصره وينصر دينه سينصره ويثبت أقدامه ،فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (سورة محمد: الآية: ٧).

وأكد نصره للمؤمنين في الدنيا والآخرة إذا قاموا بنصره فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾» (سورة غافر: الآية: ٥١).

ووعدهم بالتمكين إن أفردوه بالعبادة فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً..﴾ (سورة النور: الآية: ٥٥)

٥- الاجتماع وعدم الفرقة والاختلاف: وقد دلّ على هذا الأصل العظيم قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (سورة آل عمران: الآية: ١٠٣)[٣].

فالمولى يأمرنا أن نعتصم بحبل الله المتين، والاجتماع على التوحيد والدين القويم ،وهذا الاجتماع له أثر عظيم في مواجهة الفتن والتحديات، والقضاء على العصبيات، وإبعاد الشيطان ،وإظهار قوة الإسلام وعظمته وتحقيق معاني المحبة والتآلف،كما في حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .... وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ[٤]، وقد نبهنا الله

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير (٢١٨/٤).

(٣) وَقَدْ ضُمِنتْ لَهُمُ العِصْمةُ، عِنْدَ اتِّفَاقِهِمْ، مِنَ الْخَطَأ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَدِّدَةُ أَيْضًا، وخيفَ عَلَيْهِمُ الافْتِرَاقُ، وَالاخْتِلَافُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَافْتَرَقُوا عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، مِنْهَا فِرْقَةٌ(٣١)نَاجِيَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَمُسَلَّمَةٌ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رسولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.تفسير ابن كثير(٩٠/٢).

(٤) رواه أحمد في المسند في مواضع منها (١٩٣٥١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٠٩).

على هـذه النعمة العظيمة وذكَّرنـا بها حتى نحافظ عليهـا فقال تعالى: ﴿وَاذْكُـرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُـمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْـدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَـفَا حُفْرَةٍ مِّـنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾» (سـورة آل عمران: الآية: ١٠٤) حيث غير الإيمان مجرى حياتهم ونقلهم من العداوة والبغضاء إلى التآلف والإخاء وهذا من أعظم آثار الإيمان حيث صاروا به إخواناً[١].

قـال ابـن كثير[٢] -رحمـه الله- «إِخْوَانًـا مُتَحَابِّينَ بِجَـلَالِ اللَّه، مُتَوَاصِـلِينَ فِـي ذَات اللَّه، مُتَعَاوِنِيـنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، قَالَ الله تَعَالَـى: ﴿هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِـمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَـا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْـتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِـنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سـورة الْأَنْفَال: الآية: ٦٢) وَكَانُوا عَلَى شَـفَا حُفْرة منَ النَّار بِسَـبَب كُفْرِهِمْ، فَأَبْعَدَهُمُ اللَّه منْهَا: أنْ هَدَاهُم للْإيمَان. وَقَد امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلكَ رسـولُ اللَّه ﷺ يوم قَسَـم غَنَائمَ حُنَيْن، فَعتَبَ مَنْ عَتَبَ منْهُمْ لَمَّا فَضَّـل عَلَيْهِمْ في القسْـمَة بمَا أَرَاهُ الله، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار، أَلَمْ أجدْكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمُ الله بي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ الله بي، وَعَالَةً فأَغْنَاكُمْ الله بِي؟ «كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ.»[٣] [٤].

الفصل الثاني: أثر إيمان نبي الله (يوسف عليه الصلاة والسلام) على أخلاقه.

وفيه أحد عشر مبحثاً:

أولاً: بيان معنى العفَّة لغةً واصطلاحاً:

العفَّة لغةً: «عَفَّ عن الشـيء يَعِفُّ عَفًّا وعَفافًا: كَفَّ عنه وامتنع، فهو عَفٌّ وعَفيف وهو الكَفُّ عَمَّـا لَا يَحِـلّ ويَجْمُلُ. وَرَجُـلٌ عَفٌّ وعَفيف،وامرأةٌ عَفَّةٌ بَيِّنَةُ العَفاف،و العَفيفَة مِن النِّسَـاء السَّـيِّدَةُ الخَيِّرةُ. وامرأَة عَفِيفة: عَفّة الفَرج، وَنِسْوَةٌ عَفَائف، وتَعَفَّفَ أَي تكلَّف العِفَّة.

والاسْـتِعْفاف: طلَبُ العَفَافِ وَهُوَ الكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّـؤَالِ مِنَ النَّاسِ. وقيل: الاسْـتِعْفافُ

---

(١) عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، وَأَبَا بَكْر، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ خلَافَته، كَانُوا يُصَلُّونَ بمَكَّةَ وَبمنًى رَكْعَتَيْن، ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ صَلَّاهَا أَرْبَعًا. فَبَلَغَ ذَلكَ ابْنَ مَسْعُود، فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، فَقيلَ لَهُ: اسْتَرْجَعْتَ ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا؟ قَالَ: «الْخلَافُ شَرٌّ» رواه أبو داود كتاب (المناسك) باب(الصلاة بمنى) ،(٢،١٩٩) حديث رقم(١٩٦٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٤٤/١).

(٢) (أبو الفداء) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي المعروف (بابن كثير) الحافظ المؤرخ المفسر الفقيه المُحدِّث البارع ولد سنة ٧٠٠هـ ونشأ بدمشق صاحب التصانيف المشهورة وتوفي سنة ٧٧٤هـ يُنظر في ترجمته: «الدّرر الكامنة» (١/ ٣٧٣-٣٧٤). البدرالطالع (١/ ١٥٣) معجم المؤلفين (٢٣٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب (المغازي) باب (غزوة الطائف) (١٥٧/٥) حديث رقم:(٤٣٣٠) ومسلم في كتاب(الزكاة)باب (إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام) حديث رقم:(١٠٦١).

(٤) تفسير ابن كثير(٩٠/٢).

الصَّبْرُ وَالنَّزَاهَةُ عَنِ الشَّيْءِ»[1].

العفة اصطلاحاً: فقد عرَّفها أهل العلم بعدة تعريفات:

١- «أنها فضيلة الحس الشهواني، وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي، أعني أن يوافق التمييز الصحيح، حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته»[2].

٢- «أنها ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة بين إفراط هو الشره، وتفريط هو جمود الشهوة».[3]

٣- «العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة»[4].

يتبين لنا من خلال هذا التعريف المختصر أن العفة: خلق كريم، وقوة في العلم والإرادة تؤدي إلى ضبط سلوك وتصرفات المرء بين شهوتين ورذيلتين هما: الإفراط والانهماك في الفجور والشهوات والتفريط والجمود بحرمان النفس من الحاجات الضرورية التي يحتاج إليها البدن وفق شرع الله وبما يتوافق مع العقل.

وعلى هذا فإن خُلق العفة قيمة اجتماعية، لا غنى للمجتمع المسلم عنها، وتنبثق عنها قيم أخرى كالحياء والصبر والأمانة والوفاء بالعهد.

فحَدّهَا: العفة عن المحارم والمآثم،كما قال أهل العلم: «حد الْعِفَّة أَن تغض بَصرك وَجَمِيع جوارحك عَن الْأَجْسَام الَّتِي لَا تحل لَك»[5].

وأساسها: الاعتقاد الصحيح. وقال الراغب الأصفهاني وهو يبين أساس وتمام العفة: (وأسُّهَا يتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية وعن اعتقاد ما يكون جالباً للبغي والعدوان[6]).

وبرهانها: الصدق والصبر والحياء.

وثمرتها: تقوى الله-جل وعلا-.

وجاء في موسوعة الأخلاق الإسلامية[7]:

من آثار وفوائد العفة:

١ - أن من عف عن محارم الله لا تمسه النار: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ

(١) انظر: العين للخليل الفراهيدي (٩٢/١)، مختار الصحاح للرازي (١٤٥/٤)، لسان العرب (٢٥٣/٩).

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ص٢٦.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني ص٢٢٤.

(٤) المفردات في ألفاظ القرآن ص٥٧٣.

(٥) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص٣٣.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني ص٢٢٤.

(٧) موسوعة الأخلاق الإسلامية (٤٠٩/١).

النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَعَيْنٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ»[1].

٢- سلامة المجتمع من الفواحش: فالمجتمع الذي تتسم فيه العفة يكون بعيدا من الفواحش والرذائل.

٣- أن العفيف من السبعة الذين يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ. كما قال ﷺ سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ..»[2]

٤- العفة سبب للنجاة من الابتلاءات والمضائق:

فقد جاء في قصة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم توسل إلى الله بقوله: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[3].

٥- إعانة الله لمن أراد العفاف:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»[4].

ثانياً: من مظاهر عفته-عليه الصلاة والسلام-التي نتجت عن قوة إيمانه بالله والتي هي من آثارها:

١-يُحدثُنا القرآن الكريم عن عفَّة نبي الله-يوسف عليه الصلاة والسلام-وهو في بيت العزيز بعد أن بيعَ وآل أمره إلى الاسترقاق.

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤١٦٢/١٩)حديث رقم(١٠٠٣) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٨٨/٥، وقال: رواه الطبراني وفيه أبو حبيب العنقزي -ويقال: القنوي- ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.وحسنه المنذري في الترغيب(٣٩٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب (الآذان)باب (من جلس في المسجد ينتظر الصلاة)(٦٦٠/٢) رقم(١٤٣) وأخرجه مسلم كتاب (الزكاة)باب (إخفاء الصدقة)(١٠٣١/٢) رقم: (٧١٥)

(٣) أخرجه البخاري كتاب (أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ)،باب(حَدِيثِ الغَارِ) (١٧٢/٤)،حديث رقم(٣٤٦٥). (ومسلم برقم ٢٧٤٣).

(٤) رواه الترمذي كتاب (أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)باب (مَا جَاءَ فِي الْمُجَاهِدِ وَالنَّاكِحِ وَالْمُكَاتَبِ وَعَوْنِ اللهِ إِيَّاهُمْ)(٢٣٦/٣)،حديث رقم(١٦٥٥)وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٣٠٥٠).

يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة يوسف :٢٣-٢٧)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (سورة يوسف :٣٠-٣٣).

قال ابن عاشور -رحمه الله-: «وَقَدْ تَعَرَّضَتِ الْآيَاتُ لِتَقْرِيرِ ثَبَاتِ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَى الْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ وَكَرَمِ الْخُلُقِ.»[1] حيث دلَّت القصة التي حصلت له مع (امرأة العزيز) على كمال عفته، ونزاهته، وضبط نفسه عن الشهوات رغم تعرضه لإغراءات كثيرة

من تلكم الإغراءات:

أ-في قوله: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ «أَصْلُ الْمُرَاوَدَةِ الْإِرَادَةُ وَالطَّلَبُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ.»[2] وكانت ذات منصب وجمال.

ب-في قوله: ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ أنه كان في بيتها تراه يومياً وفي كل وقت ليس بينها وبينه حجاب،وهذا أدعى للألفة والاستجابة لما طلبت لكنه قال: « مَعَاذَ اللَّهِ «.

ج-في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ حيث ابتدأت المراودة بقولها، ثم اتبعت ذلك بفعلها، حيث أحكمت غلق الباب وذلك زيادة في الحرص والتأكيد، وخشية أن يراها أحد، فجمعت بين القول والفعل حتى تعطيه الأمان وضمان الخَلوة.

د- ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ «هَلُمَّ وَأَقْبِلْ وَتَعَالَ»[3] أي: بادر وكأنها تسلمه نفسها.

هـ-في قوله: ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ﴾ وذلك من قوة رغبتها حتى شقته من الخلف، وفي هذا كناية عن شدة الرغبة.

و-في قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ حيث عرضته على نسوة أُخر حتى قُلن: «﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٩).
(٢) تفسير القرطبي(١٦٢/٩).
(٣) تفسير القرطبي (١٦٢/٩).

مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فلم تكتف بنفسها وإنما عرَّضته لفتنة جمع من النساء.وهذا زيادة في الفتنة والبلاء والإغراء.

فهذه دلائل عظيمة تدل على عفته عن الوقوع فيما حرم الله، رغم أن الظروف كانت مهيأة له.

وعوامل الإغراء والاستثارة والجذب كثيرة منها:

أَحَدُهَا: مَا رَكَّبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي طَبْعِ الرَّجُلِ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ،

الثَّانِي: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَابًّا، وَشَهْوَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ أَقْوَى.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ عَزَبًا، لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا سُرِّيَّةٌ تَكْسِرُ شِدَّةَ الشَّهْوَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ، يَتَأَتَّى لِلْغَرِيبِ فِيهَا مِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ مَا لَا يَتَأَتَّى لَهُ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَمَعَارِفِهِ.

الْخَامِسُ: أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجِمَالٍ، بِحَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَدْعُو إِلَى مُوَاقَعَتِهَا.

السَّادِسُ: أَنَّهَا غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ وَلَا آبِيَةٍ.

السَّابِعُ: أَنَّهَا طَلَبَتْ وَأَرَادَتْ وَبَذَلَتِ الْجُهْدَ، فَكَفَتْهُ مُؤْنَةَ الطَّلَبِ وَذُلَّ الرَّغْبَةِ إِلَيْهَا.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ فِي دَارِهَا، وَتَحْتَ سُلْطَانِهَا وَقَهْرِهَا، بِحَيْثُ يَخْشَى إِنْ لَمْ يُطَاوِعْهَا مِنْ أَذَاهَا لَهُ، فَاجْتَمَعَ دَاعِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ لَا يَخْشَى أَنْ تَنِمَّ عَلَيْهِ هِيَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جِهَتِهَا، فَإِنَّهَا هِيَ الطَّالِبَةُ الرَّاغِبَةُ، وَقَدْ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَغَيَّبَتِ الرُّقَبَاءَ.

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَمْلُوكًا لَهَا فِي الدَّارِ، بِحَيْثُ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَحْضُرُ مَعَهَا وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ.

الْحَادِيَ عَشَرَ: أَنَّهَا اسْتَعَانَتْ عَلَيْهِ بِأَئِمَّةِ الْمَكْرِ وَالِاحْتِيَالِ، فَأَرَتْهُ إِيَّاهُنَّ، وَشَكَتْ حَالَهَا إِلَيْهِنَّ؛ لِتَسْتَعِينَ بِهِنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ هُوَ بِاللَّهِ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سُورَةُ يُوسُفَ: ٣٣).

الثَّانِيَ عَشَرَ: أَنَّهَا تَوَعَّدَتْهُ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: أَنَّ الزَّوْجَ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ الْغَيْرَةُ وَالنَّخْوَةُ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَهُمَا، وَيُبْعِدُ كُلًّا مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، بَلْ كَانَ غَايَةَ مَا قَابَلَهَا بِهِ أَنْ قَالَ لِيُوسُفَ: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وَلِلْمَرْأَةِ: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وَشِدَّةُ الْغَيْرَةِ لِلرَّجُلِ مِنْ أَقْوَى الْمَوَانِعِ، وَهُنَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ غَيْرَةٌ.

يقول ابن القيِّم-رحمه الله-بعد أن ذكر هذه الأوجه:»مَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا فَآثَرَ مَرْضَاةَ اللَّهِ

وَخَوْفَـهُ، وَحَمَلَهُ حُبُّهُ للَّه عَلَى أَن اخْتَارَ السَّـجْنَ عَلَى الزِّنَى فقال: ﴿رَبِّ السِّـجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ صَـرْفَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِه، وَأَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى إِنْ لَمْ يَعْصِمْهُ وَيَصْرِفْ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ؛ صَبَا إِلَيْهِنَّ بِطَبْعِه، وَكَانَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَتِه بِرَبِّه وَبِنَفْسِه.»[1].

ومما يدل على عفته -عليه الصلاة والسلام: -التي نتجت من قوة إيمانه بالله:

١-قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: اعتصم وألتجئ واحتمي بالله مما تدعوني إليه، وقوله هذا دليل على تعظيمه لحرمات الله حيث رفض وامتنع عن فعل الفاحشة واحتمى بربه مباشرة. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي[2] أَحْسَـنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِـحُ الظَّالِمُونَ﴾ فقد قابل داعي الفحش والغواية،بنداء العفـاف وهي: اللجوء إلى الله والاعتصـام به وهذا من تقواه لله تعالى ومراعاة لحق سـيده الذي أكرمه وأحسن مثواه بعدم خيانته لأن هذا هو عين الظلم أن تقابل من أحسن إليك بالإساءة إليه، يقول ابن عاشـور رحمه الله: « وَفِي هَذَا الْكَلَامِ عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْعَفَافِ وَالتَّقْوَى وَعِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ النُّبُوءَةِ مِنَ الْكَبَائِرِ.»[3].

ويقول البقاعي-رحمه الله-«فيا له من دليل على إحسانه وحكمه وعلمه»[4].

وهذا دليل على قوة وثبات عظيم في الإيمان الذي نشـأ عنه ضـبط النفس وقمع الشهوة عن الانحراف في مهاوي الردَى والرذيلة، والوقوع فيما حرم الله.

٢-في قوله تعالى: ﴿وَاسْـتَبَقَا الْبَابَ﴾ حيث قام هارباً إلى باب البيت وهذا يدل على قمة عفته حيث هرب من مواطن الفتن.

٣-في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قال ابن كثير رحمه الله: «وقال بعضهم: الْمُرَادُ بِهَمِّهِ بِهَا هَمّ خَطَرات حَدِيثِ النَّفْسِ.»[5].

قال أهل العلم «وهذه صـفة مدح لأنه امتنع مع وجود أسـباب المعصية فالأحاديث جاءت أن الإنسان لا يحاسب على هم القلب وإنما على الفعل»[6]

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٤٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وَكَانُوا يُطْلِقُونَ «اَلرَّبَّ» عَلَى السَّيِّدِ وَالْكَبِيرِ، أَيْ: إِنَّ بَعْلَكِ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ أَيْ: مَنْزِلِي وَأَحْسَنَ إِلَيَّ، فَلَا أُقَابِلُهُ بِالْفَاحِشَةِ فِي أَهْلِه.تفسير ابن كثير (٣٧٩/٤).

(٣) التحرير والتنوير(٢٥٢/١٢).

(٤) نظم الدرر (٢٨/٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٣٨١/٤).

(٦) فوائد وفرائد لمحمد بن خالد الخضير ص٢١. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: الهم بالسيئة له أحوال:
الحال الأولى: أن يهم بالسيئة أي يعزم عليها بقلبه، وليس مجرد حديث النفس، ثم يراجع نفسه فيتركها لله عزّ وجل، فهذا هو الذي يؤجر، فتكتب له حسنة كاملة، لأنه تركها لله ولم يعمل حتى يكتب عليه سيئة.
الحال الثانية: أن يهم بالسيئة ويعزم عليها لكن يعجز عنها بدون أن يسعى بأسبابها: كالرجل الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليت لي مثل مال فلان فأعمل فيه مثل عمله وكان فلان يسرف على نفسه في تصريف ماله، فهذا يكتب عليه

﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- «وَالصَّـوَابُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا زَجَرَهُ عَمَّا كَانَ هَمَّ بِهِ»[1]. وهذا دليل على عفته حيث لم يغفل عن برهان ربه ولم يتبع هوى نفسه.

٤- ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ مما يدل على عفته اعتراف امرأة العزيز بذلك ووصـفها له. بقولها « فَاسْتَعْصَـمَ « «أَيْ: فَامْتَنَعَ. قَالَ بَعْضُـهُمْ: لَمَّا رَأَيْنَ جَمَالَهُ الظَّاهِرَ، أَخْبَرَتْهُنَّ بِصِفَاتِهِ الْحَسَنَةِ الَّتِي تَخْفَى عَنْهُنَّ، وَهِيَ الْعِفَّةُ مَعَ هَذَا الْجَمَالِ»[2]

٥- في قولها: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ اعترافها أمام الملأ بمراودتها له دليل على تعلقها به، وقد وصـفها الله بقوله: ﴿قَدْ شَـغَفَهَا حُبًّا﴾. وصل حبه شغاف[3] قلبها وهو كناية عن تغلغله في سويداء القلب، وهذا زيادة في الابتلاء.

٦- فـي قولهـا: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْـجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّـنَ الصَّاغِرِينَ﴾ عَاوَدَتْهُ الْمُرَاوَدَةَ بِمَحْضَـرِ مِنْهُنَّ، وَهَتَكَتْ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ، وَوَعَدَتْ بِالسِّـجْنِ إِنْ لَـمْ يَفْعَلْ، وَإِنَّمَا فَعَلَتْ هَذَا حِينَ لَمْ تَخْشَ لَوْمًا وَلَا مَقَالًا»[4].

٧- في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾

وهذا دليل أيضـاً على معاودتها للمراودة وتوعدها له بالسـجن، فاختار السجن،رغم ما فيه من العذاب والانقطاع والألم باعتبار أنه يخلصـه من الوقوع في الحرام، وثمتَ أمر آخر يدل على عفته وهو عدم تعريض نفسه للفتنة، كل ذلـ لأجل الحفاظ على العفاف.

٨- فـي قولـه: ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّـا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْـرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ

سيئة، لكن ليس كعامل السيئة، بل يكتب وزر نيته، كما جاء في الحديث بلفظه: «فَهُوَ بِنِيَّتِه»، فَهُمَا في الوزر سواء

الحال الثالثة: أن يهم بالسيئة ويسعى في الحصول عليها ولكن يعجز، فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملاً، دليل ذلك: قول النبي ﷺ: «إِذَا التَقَى المُسلمَانِ بسيفَيهمَا فَالقَاتِل وَالمَقتول في النَّار قَالَ: يَا رَسُول الله هَذا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقتُول؟» أي لماذا يكون فِي النَارِ- قَالَ: «لأَنَّهُ كَانَ حَرِيصَاً عَلَى قَتل صَاحِبِه» فكتب عليه عقوبة القاتل.

ومثاله: لو أن إنساناً تهيأ ليسرق وأتى بالسلم ليتسلق، ولكن عَجَز، فهذا يكتب عليه وزر السارق، لأنه هم بالسيئة وسعى بأسبابها ولكن عجز.

الحال الرابعة: أن يهم الإنسان بالسيئة ثم يعزف عنها لا لله ولا للعجز، فهذا لا له ولا عليه، وهذا يقع كثيراً، يهم الإنسان بالسيئة ثم تطيب نفسه ويعزف عنها، فهذا لا يثاب لأنه لم يتركها لله، ولا يعاقب لأنه لم يفعل ما يوجب العقوبة.وعلى هذا فيكون قوله في الحديث: «كَتَبَهَا عِندَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً» أي إذا تركها لله عزّ وجل. شرح الأربعين النووية ص٣٧٠-٣٧١.

(١) تفسير الطبري (١٦/٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٨٦).

(٣) (الشَّغَافُ) بالْفَتْحِ غلَافُ الْقَلْبِ وَهُوَ جِلْدَةٌ دُونَهُ كَالْحِجَابِ. يُقَالُ: (شَغَفَهُ) الْحُبُّ أَيْ بَلَغَ شَغَافَهُ وَبَابُهُ بَابُ شَغَفَ وَقَدْ ذُكِرَ فيه. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] . وَقَالَ: دَخَلَ حُبُّهُ تَحْتَ الشَّغَافِ. مختار الصحاح ص١٦٦.

(٤) تفسير القرطبي:(٩/١٨٤).

أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾.

يقول ابن سعدي رحمه الله: «وهذا يدل، أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكِدْنه في ذلك.»[1] ومع ذلك لم يتنازل ولم يداهن ،رغم محاولات امرأة العزيز والنسوة، بل تعفف عن الجميع وهذا يدل على تمام عفته.

٩- في قوله: ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ من عفته -عليه الصلاة والسلام- وصف كل من يقع في الفاحشة والمعصية بالجهل.

١٠- ومما يدل على عفته -عليه الصلاة والسلام-:أن الله برَّأه من السوء والفحشاء كما قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

١١- أنه برَّأ نفسه من الفاحشة فقال: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ وقال:﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وقال: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

١٢- اعتراف امرأة العزيز ببراءته حينما قالت للنسوة: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

١٣- اعتراف زوجها ببراءته حينما قال: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

١٤- اعتراف النسوة ببراءته في قوله: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

١٥- تبرئة الشهود له كما قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وكان من ثمرات عفته -عليه الصلاة والسلام-:

أ- التمكين في الأرض، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (سورة يوسف الآية: ٥٤).

ب- صرف السوء والفحشاء، وحماية الله له من مكر وكيد النساء، حتى صار من عباد الله وأوليائه الأصفياء، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة يوسف الآية: ٢٤)

فصلوات ربي وسلامه على -نبي الله يوسف- الذي كان مثالاً للعفة والطهارة والنزاهة، فقد

(١) تيسير الكريم الرحمن: ص٣٩٧

رسم العفة بأكملها وجمع بين جمال الظاهر والباطن، فحصلت له عزة الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: أثر الإيمان على صبره عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الصبر لغةً و شرعاً:

الصَّبْرُ لغةً: «صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فَهُوَ صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، والصبر: نقيض الجزع، صَبَرَ صَبْرًا: تجلَّد ولم يَجْزَع، وأصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه ، والصَّبر حَبْس النَّفْس عِنْدَ الجزَع، وَقَدْ صَبَرَ فُلَانٌ عِنْدَ المُصيبة يَصْبِرُ صَبْراً، وصَبَرْتُه أنا: حَبَسْته. قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (سورة الكهف:الآية: ٢٨)[١].

الصبر شرعاً: عرَّفه أهل العلم بعدة تعريفات من ذلك:

١- الصَّبْرُ: «حبسُ النَّفس علَى ما يقتضيه العقْلُ والشرعُ، أو عمَّا يقتضيان حَبسَها عنه»[٢].

٢- وقيل:«ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله،لا إلى الله»[٣].

٣- وعرَّفه ابن القيِّم رحمه الله فقال: «الصَّبْرُ :حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى ، وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ»[٤].

٤- وقد بين ابن القيِّم رحمه الله حقيقة الصبر قائلاً: وحقيقة الصبر: «هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يَمْنَعُ صَاحِبَهُ من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها»[٥].

يتبين لنا من خلال هذه التعريفات الشاملة: أن الصبر قوة دافعة للعبد تمنعه عما يضره ويشينه فِي النَّفْسِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وينتهي به إلى صلاح حَالِهِ وَمَآلِهِ.

ثانياً: من مظاهر صبره -عليه الصلاة والسلام-التي هي من آثار -إيمانه بالله تعالى

قال الله جل وعز: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية٩٠).

ومن السُّنَّة حديث -النبي ﷺ «عَجِبْتُ لصَبْرِ أَخي يُوسُفَ وَكَرَمِه وَاللَّه يَغْفِرُ لَهُ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْتَفتَى فِي الرُّؤْيَا وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلَ حَتَّى أَخْرُجَ وَعَجِبْتُ لِصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّه يَغْفِرُ لَهُ أَتِيَ

(١) انظر: تهذيب اللغة(١٢/١٧١). الصحاح: (٢/٧٠٦) مختار الصحاح (١/١٧٢)، لسان العرب (٤/٤٣٧)، القاموس المحيط (١/٥٤٠).

(٢) المفردات في ألفاظ القرآن الكريم ص٤٧٤.

(٣) التعريفات: ص١٣١.

(٤) مدارج السالكين:(٢/٣١٩).

(٥) انظر: عدة الصابرين: ص٢٩.

لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُذْرِهِ وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَبَادَرْتُ الْبَابَ»[1].

فقد شهد الله له بالصبر كما في الآية الآنفة الذِّكر والحديث النبوي فقد:

١- صبرَ على فراق والديه.

٢- وصَبرعلى ظلم إخوته:

ويتمثل ذلك حينما تآمر عليه إخوته تارة بالتفكير بقتله، وتارة برميه في الْجُبِّ قال تعالى في ذكر قول إخوة يوسف: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾» (سورة يوسف:الآيتان ٩-١٠)، وحينما اتهموه بالسرقة لما دخلوا عليه ولم يعرفوه ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة يوسف: الآية ٧٧)، وكتم غيظه، وصبره هنا صبر اضطرار.

٣- وصبرَعلى محنة امرأة العزيز كما مر بنا سابقاً «وهذه المحنة العظيمة، أعظم على يوسف، من محنة إخوته، وصبره عليها، أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار، مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها. وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار[2]، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها.»[3].

٤-صَبرَ على غربة السجن يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة يوسف: الآية٣٥) وصبره على بقائه في السجن ومُكثه فيه بِضْع سنين حينما

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ /٢٤٩) حديث رقم: (١١٦٤٠) عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا به وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم: (١٩٤٥). وانظر للفائدة شرح هذا الحديث كتاب التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني(٢١١/٧) وروح المعاني(٢٧/٤) حيث ذكر فيه فوائد حُقَّ لها أن تكتب بماء الذهب.

(٢) الصبر نوعان: اختياري واضطراري، والاختياري أكمل من الاضطراري.فالصبر الاختياري المتعلق بالتكليف وهو الأمر والنهي، أفضل من الصبر الاضطراري؛ أي الصبر على أقدار الله تعالى؛ لأنه لابد لكل أحد من الصبر على القدر اختيارًا أو اضطرارًا، فأما الصبر على الأوامر والنواهي، فهو صبر أتباع الرسل، وأعظمهم اتباعًا أصبرهم في ذلك - قال ابن القيم رحمه الله: وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: كَانَ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا: أَكْمَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إلْقَاءِ إخْوَتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أبيه. فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، لا كَسْبَ لَهُ فِيهَا، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَةٌ غَيْرَ الصَّبْرِ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ: فَصَبْرُ اخْتِيَارٍ وَرِضًا وَمُحَارَبَةً لِلنَّفْسِ. والصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَفْضَلُ. فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ. وَمُفْسِدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ: أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ. مدارج السالكين (١٥٦/٢) وقال ابن القيم أيضا: والصَّبْرُ عَلَى طَاعَتِه، وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَتِه: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِهِ فَإِنَّ الصَّبْرَ فِيهَا صَبْرُ اخْتِيَارٍ وَإِيثَارٍ وَمَحَبَّةٍ. وَالصَّبْرُ عَلَى أَحْكَامِهِ الْكَوْنِيَّةِ: صَبْرُ ضَرُورَةٍ. مدارج السالكين (١٦٨/٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٣٩٦/١).

قال للنَّاجي: ﴿اذكرني عند ربك﴾ والبِضْع: من الثلاث إلى التسع، ولهذا قيل: إنه لبث سبع سنين»[1].

قال الأزهري رحمه الله: قَالَ الْفراء: البِضع: مَا بَين الثَّلَاثَة إِلَى مَا دون الْعشْرَة.

وَقَالَ شمر: البِضْع لَا يكون أقلَّ من ثَلَاث وَلَا أكثرَ من عَشرة.

وَقَالَ أَبُو زيد: أَقمت عِنْده بِضْع سِنِين.

وَقَالَ بَعضهم: بَضْع سِنِين.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: البِضْع: مَا لم يبلغ العَقْدَ وَلَا نصفَه، يُرِيد مَا بَين الْوَاحد إِلَى أَرْبَعَة. وَقَالَ اللَّيْث: البِضْع: مَا بَين ثَلَاثَة إِلَى عشرَة. وَيُقَال الْبضْع سَبْعَة. وَقَالَ أَبُو زيد: يُقَال لَهُ بضعَة وَعِشْرُونَ رجلا وَله بضع وَعِشْرُونَ امْرَأَة[2].

وصَبرَ على عدم خروجه من السجن وذلك حينما طلب الملك لمن عنده أن يخرجوه من السجن فلما أن جاءه الرسول امتنع حتى تثبت براءته وهذا من رجاحة وكمال عقله وصبره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ (سورة يوسف:الآيتان:٥٠-٥١).

وأظهر الله براءته حينما قالت النِّسوةُ: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ وقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.

٦-وصبرَعلى الدعوة إلى الله: وذلك حينما دخل السجن لم يتوان عن الدعوة إلى سبيل ربه فقام بدعوتهم إلى توحيد الله وحده لا شريك له، ثم بيَّن لهم بطلان الآلهة التي تُعبد من دون الله، ثم نصَّ على إخلاص العبادة له، وهذا من حكمته وحِرْصه على الدَّعوة إلى الله، ثم لما فرغ من البداءة بالأهم شرع في تأويل الرؤيا.

كما قال تعالى ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة يوسف: ٣٩).

وفي هذا دلالة واضحة على الارتباط الوثيق بين الإيمان والأخلاق ومدى تأثير ذلك على الجانب السلوكي(الصبر) الذي تجلى واضحاً في حياته فكانت النتيجة الرِّفعةُ والتمكين في الأرض ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (سورة يوسف: الآية: ٩٠).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٩٨/١).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٣٠٩/١).

قال ابن عاشور رحمه الله: وَجُمْلَةُ (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) تَعْلِيلٌ لِجُمْلَةِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا. فَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اتَّقَى اللَّهَ وَصَبَرَ وَبِنْيَامِينُ صَبَرَ وَلَمْ يَعْصِ اللَّهَ فَكَانَ تَقِيًّا. أَرَادَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْلِيمَهُمْ وَسَائِلَ التَّعَرُّضِ إِلَى نعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّقْوَى وَالتَّخَلُّقِ بِالصَّبْرِ تَعْرِيضًا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ وَفِي أَخِيهِ وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى إِيثَارِ أَبِيهِمْ إِيَّاهُمَا عَلَيْهِمْ.

وَهَذَا مِنْ أَفَانِينِ الْخَطَابَةِ أَنْ يَغْتَنِمَ الْوَاعِظُ الْفُرْصَةَ لِإِلْقَاءِ الْمَوْعِظَةِ، وَهِيَ فُرْصَةُ تَأَثُّرِ السَّامِعِ وَانْفِعَالِهِ وَظُهُورِ شَوَاهِدِ صِدْقِ الْوَاعِظِ فِي مَوْعِظَتِهِ.

وَذِكْرُ الْمُحْسِنِينَ وَضْعٌ لِلظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ إِذْ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَهُمْ. فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْمُحْسِنِينَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَلِلتَّعْمِيمِ فِي الْحُكْمِ لِيَكُونَ كَالتَّذْيِيلِ، وَيَدْخُلَ فِي عُمُومِهِ هُوَ وَأَخُوهُ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا فِي مَقَامِ التَّحَدُّثِ بِالنِّعْمَةِ وَإِظْهَارُ الْمَوْعِظَةِ سَائِغٌ لِلْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُ مِنَ التَّبْلِيغِ كَقَوْلِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِهِ»[1].

المبحث الثالث: أثر الإيمان على صفحه -عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الصفح لغةً واصطلاحاً:

الصفح لغةً: «صَفَحَ (عَنهُ) يَصْفَح صَفْحاً: أَعْرَضَ عَن ذَنْبه. وَهُوَ صَفُوحٌ وصَفّاحٌ: (عَفَا). وصَفَحْتُ عَن ذَنْب فُلان، وأَعْرَضْت عَنهُ، فَلم أُؤَاخذْه بِهِ والصَّفُوحُ مِنْ أَبنية الْمُبَالَغَة. والصَّفُوحُ: الْكَرِيمُ، لأَنه يَصْفَح عَمَّنْ جَنى عَلَيْهِ.وأَصله مِنَ الإِعراض بصَفْحَة وَجْهِهِ كأَنه أَعرض بِوَجْهِهِ عَنْ ذَنْبِهِ.»[2].

الصفح اصطلاحاً: تعددت عبارات أهل العلم في تعريف الصَّفح:

١- فقيل: الصَّفْحُ: «تَرْكُ التَّأْنِيبِ» [3].

٢- وقيل: «هوترك التّثريب»[4].

٣- وقيل: «التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وقيل: هوتَركُ مُؤَاخذَة المُذْنبِ وأن تُبدي له صفحة جميلة»[5].

٤-وقيل: «إِزَالَةُ أَثَرِهِ مِنَ النَّفْسِ»[6].

ولا تنافي بين هذه التعريفات، إذْ كلها تدور حول معنى الإعراض والترك والتجاوز عن

(١) التحرير والتنوير (٤٩/١٣).

(٢) مختار الصحاح (١٧٦/١)، لسان العرب (٧٢/١٥)، تاج العروس (٥٤٠/٦).

(٣) التوقيف في مهمات التعريف للمناوي ص٢١٧.

(٤) الكليات للكفوي (٥٦٢/١).

(٥) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (٢٣٦/١).

(٦) تفسير القرطبي (٧١/٢).

المؤاخذة واللَّوم والتَّقصير.

ثانياً: من مظاهر صفحه -عليه الصلاة والسلام- الذي يدل على كمال إيمانه:

١-صفحه عن-امرأة العزيز حينما بادرت باتهامه بالفاحشة ظلماً وتسببت في دخوله السجن، وبقائه فيه بضع سنين حتى أنطقها الله، فاعترفت بجرمها وبرأته من كل دنس وعيب.

﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٥١)[١]. فعفى عنها، ولم يُشهّر بها ولم يفضحها.

٢- صفحه عن إخوته حينما تكالبوا عليه بشتى أنواع الأذى، وأصناف الردى، من ذلك:

أ- إضمارهم الحسد الذي تمثَّل في رغبة بعضهم بقتله تارة، وبإلقائه في غياهب الجب تارة، حتى كانوا سبباً في بيعه، وحَالُوا بينه وبين أبيه ونهاية تسببوا في ذهاب بصر أبيهم.

ب- ومن ذلك أيضاً: رميهم له بالتهم الباطلة (بالسرقة) حينما قالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لهم﴾ (سورة يوسف :الآية :٧٧)[٢].

فلما توالت الأيام ووقعوا بين يديه قابلهم- عليه الصلاة والسلام- بأخلاق الأنبياء، وشيم النبلاء، وخواص الأصفياء، وخيار الأتقياء ونبل العظماء الأنقياء، مـ ثـلاً بقوله تعالى: ﴿فمن عفى وأصلح فأجره على الله﴾ (سورة الشورى :الآية :٤٠) فلم يُؤنب، ولم يُجرِّح، ولم يُثرِّب، ولم يلُم ولم يُعاتب، ولم يُعاقب، ولم يُؤاخذ بالذَّنب، ولم ينتقم، بل تغافل كيف لا!! وقد خصَّه الله بالعلم والفهم والحكمة، وأتمّ عليه نعمته بالملك والنبوة والرسالة، وجعله من عباده المخلصين، فقابلهم بخُلُق التغافل والعفو والصفح والدعاء لهم بالمغفرة حتى قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ

---

(١) هذه الآية وما بعدها ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢) ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٣). قال ابن تيمية رحمه الله: فَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ امْرَأَة الْعَزِيز، وَيُوسُفُ إذْ ذَاكَ فِي السِّجْن، لَمْ يَحْضُرْ بَعْدُ إلَى الْمَلِك، وَلَا سَمِعَ كَلَامَهُ وَلَا رَآهُ: وَلَكِنْ لَمَّا ظَهَرَتْ بَرَاءَتُهُ فِي غَيْبَته - كَمَا قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيز: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ (يوسف: ٥٢) أَيْ لَمْ أَخُنْهُ فِي حَال مَغِيبه عَنِّي وَإِنْ كُنْت فِي حَال شُهُوده رَاوَدْته - فَحِينَئِذ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: ٥٤) وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ إنَّ هَذَا مِنْ كَلَام يُوسُفَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ إلَّا هَذَا الْقَوْلَ، وَهُوَ قَوْلٌ فِي غَايَة الْفَسَاد، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، بَلْ الْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَى نَقِيضه- الفتاوى الكبرى لابن تيمية(٥/٢٦٢).

(٢) أخْرَجَ ابْنُ إسْحاقَ، وابْنُ جَرِير، وابْنُ أبي حاتِم، عَنْ مُجاهِد قالَ: كانَ أوَّلَ ما دَخَلَ عَلى يُوسُفَ مِنَ البَلاء فِيما بَلَغَنِي أنَّ عَمَّتَهُ وكانَتْ أكْبَرَ ولَد إسْحاقَ وكانَتْ إلَيْها مِنطَقَةُ إسْحاقَ، فَكانُوا يَتَوارَثُونَها بِالكِبَر وكانَ يَعْقُوبُ حِينَ وُلِدَ لَهُ يُوسُفُ قَدْ حَضَنَتْهُ عَمَّتُهُ فَكانَ مَعَها وإلَيْها، فَلَمْ يُحِبَّ أحَدٌ شَيْئًا مِنَ الأشْياء كَحُبِّها إيّاهُ حَتّى تَرَعْرَعَ وقَعَتْ نَفْسُ يَعْقُوبَ عَلَيْه فَأتاها فَقالَ: يا أخِيَّةُ سَلِّمِي إلَيَّ يُوسُفَ فَواللّه ما أقْدَرُ عَلى أنْ يَغِيبَ عَنِّي ساعَةً، قالَتْ: فَواللّه ما أنا بتارِكَته فَدَعَمُهُ عِنْدِي أيّامًا أنْظُرُ إلَيْه لَعَلَّ ذَلِكَ يُسَلِّيني عَنْهُ، فَلَمّا خَرَجَ يَعْقُوبُ مِن عِنْدِها عَمَدَتْ إلى مِنطَقَة إسْحاقَ عَلَيْه السَّلامُ فَحَزَمَتْها عَلى يُوسُفَ مِن تَحْتِ ثِيابِه ثُمَّ قالَتْ: فَقَدْتُ مِنطَقَةَ إسْحاقَ فانْظُرُوا مَن أخَذَها ومَن أصابَها فالتُمِسَتْ ثُمَّ قالَتْ: اكْشِفُوا أهْلَ البَيْت، فَكَشَفُوهم فَوَجَدُوها مَعَ يُوسُفَ فَقالَتْ: واللّه إنَّهُ لَسَلَمٌ أصْنَعُ فِيه ما شِئْتُ فَأتاها يَعْقُوبُ فَأخْبَرَتْهُ الخَبَرَ فَقالَ لَها: أنْت وذاكِ إنْ كانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهو سَلَمٌ لَك مـا أسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ فَأمْسَكَتْهُ فَما قَدَرَ عَلَيْه حَتّى ماتَتْ، فَهو الَّذِي يَقُولُ إخْوَةُ يُوسُفَ حِينَ صَنَعَ بِأخِيهِ ما صَنَعَ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ﴾. الدر المنثور للسيوطي رحمه الله(٤/٥٦٣).

كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾. (سورة يوسف الآية:٩١) «أي: فضّلك علينا، بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشّيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتبعيد لك عن أبيك، فآثرك الله تعالى ومكّنك مما تريده ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾»[١] فهذا اعتراف منهم بما فعلوه، وإقرار منهم لما اقترفوه فرد عليهم: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية :٩٢) «أي لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعيّر عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة، فقال (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)»[٢]. بل من تمام صفحه وكمال أدبه أنه قال لهم: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (سورة يوسف: الآية : ١٠٠) «وَلَمْ يَقُلْ مِنَ الْجُبِّ اسْتِعْمَالًا لِلْكَرَمِ، لِئَلَّا يُذَكِّرَ إِخْوَتَهُ صَنِيعَهُمْ بَعْدَ عَفْوِهِ عَنْهُمْ»[٣] ثم أردف ذلك الصفح بكرم آخر حينما قال: ﴿من بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (سورة يوسف: الآية :١٠٠) «أحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكرماً منه وتأدباً»[٤].

فلم يُعرّض بظلمهم، إنما مرّ عليها مرور الكرام وتغافل عنها وأسندها إلى الشيطان حتى لا يحرجهم، وفي قوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أدب ثالث حيث لم يقل بيني وبينكم وإنما قال: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

ففيه تودد وتلطف وإشعار منه لهم بقيام عاطفة الأخوة واستمرارها، وفيه دليل على قمة الأدب والعفو والإحسان، وغاية الكرم والصفح والغفران. فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن. ص٤٠٤، وقال ابن سعدي رحمه الله:فسمح لهم سماحا تاما، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٠/٢) .

(٣) تفسير القرطبي (٢٦٧/٩).

(٤) فتح القدير(٦٨/٣).

(٥) تيسير الكريم الرحـ ن ص٤٠٥.

المبحث الرابع: أثر الإيمان على وفائه-عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الوفاء لغةً واصطلاحاً

الْوَفَاءُ لُغَةً: ضِدُّ الْغَدْرِ. وأصل الْوَفَاءُ: التَّمَامُ، ووفَى الشَّيْءُ وُفِيًّا عَلَى فُعولٍ أَي تَمَّ وَكَثُرَ، يقال: وَفَّى بِعَهْدِه وَأَوْفَى بِمَعْنًى وَاحد، وفَى الكيلُ ووَفَى الشيءُ أي تَمَّ، وأَوْفَيْتُه أنا أَتْمَمْته ورَجُلٌ وَفِيٌّ: ذُو وَفاءٍ. وهو الْخُلُقُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الرَّفِيعُ[1]».

الوفاء اصطلاحاً: عرَّفه أهل العلم بعدة تعريفات منها:

١-قيل: «مُلاَزَمَةُ طَرِيقِ الْمُوَاسَاةِ، وَمُحَافَظَةُ عُهُودِ الْخُلَطاء»[2].

٢-وقيل: «الوفاء: صدقُ اللِّسَانُ والفعْلُ معًا»[3].

٣-وقيل: «الْوَفَاء: الْقيام بِمُقْتَضى الْعَهْد»[4] ولا منافاة بين هذه المعاني إذ كلها تدور حول إتمام الشيء والمحافظة عليه وإبرامه وعدم نقضه.

ثانياً: من مظاهر وفائه-عليه الصلاة والسلام التي تدل على قوة إيمانه بالله:

١- حينما راودته امرأة العزيز فامتنع مستنكرا قائلاً: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (سورة: يوسف: الآية: ٢٣) قال ابن كثير رحمه الله[5]: «وَكَانُوا يُطْلِقُونَ «الرَّبَّ» عَلَى السَّيِّدِ وَالْكَبِيرِ، أَيْ: إِنَّ بَعْلَكِ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ أَيْ: مَنْزِلِي وَأَحْسَنَ إِلَيَّ، وأحسن مقامي ومنزلتي وآواني وأكرمني وأمَّنني على أهله وبيته وكَفَلني وأحسن معاملتي، فهل يليق بعد هذا أن أَخُونه في عِرضه، وأقابله بالخيانة وأسيئَ إليه بالفاحشة؟»

ما هذا إلا فعلُ الظالمين!! وهذا دليل على وفائه بحقوق سيده، وعلو أخلاقه وسموها ورفعتها، وعلى صدقه في الأقوال والأفعال، وشدة مراعاته للعهود وعدم نقضه لها.

٢-ومما يدل على وفائه أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ (سورة يوسف: ٥٨-٥٩)

قال البغوي -رحمه الله- «﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أَيْ: أُتِمُّهُ وَلَا أَبْخَسُ النَّاسَ شَيْئًا، فَأَزِيدُكُمْ حِمْلَ بَعِيرٍ لِأَجْلِ أَخِيكُمْ، وَأُكْرِمُ مَنْزِلَتَكُمْ وَأُحْسِنُ إِلَيْكُمْ، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ قَالَ

(١) لسان العرب(١٥/٣٩٩)،تهذيب اللغة (١٥/٤٢٠)،الصحاح للجوهري(٦/٢٥٢٦).

(٢) التعريفات: ص٢٥٣.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٩٢.

(٤) الكليات:. ص٢٠٩.

(٥) تفسير ابن كثير(٤/٣٧٩).

مُجَاهِدٌ: أَيْ خَيْرُ الْمُضِيفِينَ. وَكَانَ قَدْ أَحْسَنَ ضِيَافَتَهُمْ.»[1].

فحينمـا دخل عليه إخوانه أكرم وفادتهم، وأحسـن إليهم وكال لكل واحد منهم بمقدار حمل بعير.»وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخا عند أبيه، وهو بنيامين. فقال لهم: (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) : ثم رغَّبهم في الإتيان به فقال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ فـي الضـيافة والإكرام ..... وقال يوسـف لفتيانه الذين في خدمته:﴿اجْعَلُـوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة[2] في رحالهم لعلهم يعرفونها أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك فـي رِحَالِهِمْ، لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُونَ لأجل التحرج من أخذها على ما قيل. والظاهـر أنه أراد أن يرَغِّبهم في إحسـانه إليهم بالكيل لهم كيلاً وافياً، ثم إعادة بضـاعتهم إليهم على وجه لا يحسـون بها، ولا يشـعرون لما يأتي؛ فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن، ثم اعترفوا بهذا الوفاء لما فتحوا أمتعتهم ووجدوا بضاعتهم ردّت إليهم، حيث قالوا لأبيهم: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾: «أيُّ شـيءٍ نطلـب بعـد هـذا الإكـرام الجميل، حيث وفَّـى لنا الكيـل، وردَّ علينا بضـاعتنا على هذا الوجه الحسـن، المتضـمن للإخلاص ومكارم الأخلاق!!»[3] وهذا دليل على وفائه بحقوق الناس العامة والخاصة، وصدقه واستقامته وصلته بأرحامه، كيف لا وهي صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، وخصلة من خصال المتقين، وعلامة من علامات الصادقين، وسمة من سمات الأولياء والصالحين.

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ٥٠٠).

(٢) المِيرَة، بِالْكَسْرِ: الطَّعامِ يَمْتَارُه الْإِنْسَان. وَفِي المُحكم: المِيرَة: جَلَبُ الطَّعام، زَاد فِي التَّهذيبِ: للبَيْع، وهمِ يَمْتَارون لأنفسهم، وَيَميرون غَيْرَهم مَيْرَا. وَقد مارَ عِيالَه يَمِيرُ مَيْرَاً، وَقَالَ الأَصْمَعِيّ: يُقال: مارَه يَمُوره، إِذا أَتاهُ بمِيرة، أي بِطَعَام. وأمارَهم وامْتارَ لَهُم: جلبَ لَهُم. تاج العروس (١٤/ ١٦٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٠١).

المبحث الخامس: أثر الإيمان على كرمه -عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الكرم لغةً واصطلاحاً:

الكـرم لغةً: «الكرم، محرَّكة ضِـدُّ اللُّؤْم ويقال: رجل كرَم أيضـا، وامرأة كرم، ونسـوة كرم. جمـع: كُرماءُ وكـرام وكرائم. والكرم: شـرف الرجل. رَجُلٌ كَرِيـم وَقَوْمٌ كَرَمٌ وكـرامٌ، وَرَجُلٌ كَرَمٌ: كَرِيـمٌ. وتَكَرَّمَ عَنِ الشَّـيْءِ وتَكَارَمَ: تَنزَّه. وأَكْرَمَ نفْسَـه عَنِ الشَّـائنَات. وَالْكَرَمُ فِـي الْخُلُقِ يُقَالُ هُوَ الصَّـفْحُ عَـنْ ذَنْبِ الْمُذْنِبِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْـلِمِ بْـنِ قُتَيْبَةَ: الْكَرِيمُ: الصَّـفُوحُ. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْكَرِيمُ الصَّفُوحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.»[1].

معنى الكَرَم اصطلاحاً: عرِّف بعدة تعريفات منها:

١- الكَرَم: «هو الإعْطَاءُ بسهولة»[2].

٢- وقيل: «الْكَرم: هُوَ إعْطَاء الشَّيْء عَن طيب نفسٍ قَليلا كَانَ أَو كثيرا».[3].

٣- وقيل: «الكرم: إِفَادَةُ مَا يَنْبَغِي لَا لغَرض»[4].

٤- وقيل: «الكَرَمُ: اسْم لجَماعَة الْأَخْلَاق المحمودة، وَالْأَفْعَال المرضية إِذا ظَهرت بِالْفِعْلِ.»[5].

٥- وقيل:»الْكَرم: إِن كَانَ بِمَال فَهُوَ(جود)، وَإِن كَانَ بكف ضَرَر مَعَ الْقُدْرَة فَهُوَ(عَفْوَ)، إِن كَانَ ببذل النَّفس فَهُوَ (شجاعة)».[6].

ولا تنافي بين هذه التعريفات إذْ الكرم: هو العطاء بجميع صـوره بيسـر وسهولة نفس، قليلاً كان أم كثيراً.

ثانيـاً: ومن مظاهر كرمه -عليه الصـلاة والسـلام-: الـذي هو من آثار إيمانـه بالله العلي العظيم:

١- قوله لهم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّى أُوفِى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٥٩) قال ابن سـعدي رحمه الله: «ومنها مشروعية الضيافة وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف، لقـول يوسـف لإخـوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّى أُوفِى الْكَيْلَ وَأَنَـا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[7] وقـال تعالى: «﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

(١) العين (٣٦٨/٥) مقاييس اللغة (٧٨٢/١)، مختار الصحاح (٢٠٢٠/٥،)، القاموس المحيط (١١٥٣/١).

(٢) التعريفات: ص١٨٤.

(٣) الفروق اللغوية:. ص١٧٥.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨١/١) ص٢٨١.

(٥) معجم مقاليد العلوم الحدود والرسوم للسيوطي ص٢٠٦.

(٦) الكليات للكفوي رحمه الله: ص٥٣.

(٧) تيسير الكريم الرحمن. ص٤٠٧.

يَرْجِعُونَ﴾ (سورة يوسف: الآية :٦٢).

ولا يخفى أن أعظم الكرم ما كان عن شدة الفاقة والاحتياج، وهذا ينطبق على إخوة يوسف -عليه الصلاة والسلام- وكيف قابلهم الكريم بما في ظاهره كرم اليد ودافعه كرم النفس.

٢-أن إخوته حينما رجعوا إلى أبيهم وفتحوا أمتعتهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم حيث قالوا لأبيهم: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ قال الرازي رحمه الله: وَأَمَّا قَوْلُهُ: مَا نَبْغِي فَفِي كَلِمَةِ (مَا) قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا لِلنَّفْيِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَفِيهِ وُجُوهٌ: الْأَوَّلُ:»أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ وَصَفُوا يُوسُفَ بِالْكَرَمِ وَاللُّطْفِ وَقَالُوا: إِنَّا قَدِمْنَا عَلَى رَجُلٍ فِي غَايَةِ الْكَرَمِ أَنْزَلَنَا وَأَكْرَمَنَا كَرَامَةً لَوْ كَانَ رَجُلًا مِنْ آلِ يَعْقُوبَ لَمَا فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَوْلُهُمْ: مَا نَبْغِي أَيْ بِهَذَا الْوَصْفِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ كَذِبًا وَلَا ذِكْرَ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ الثَّانِي: أَنَّهُ بَلَغَ فِي الْإِكْرَامِ إِلَى غَايَةِ مَا وَرَاءَهَا شَيْءٌ آخَرُ، فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ بَالَغَ فِي إِكْرَامِنَا أَمَرَ بِبِضَاعَتِنَا فَرُدَّتْ إِلَيْنَا. الثَّالِثُ: الْمَعْنَى أَنَّهُ رَدَّ بِضَاعَتَنَا إِلينا، فنحن لا نبغي منك عِنْدَ رُجُوعِنَا إِلَيْهِ بِضَاعَةً أُخْرَى، فَإِنَّ هَذِهِ الَّتِي مَعَنَا كَافِيَةٌ لَنَا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ كلمة «ما» هاهنا للاسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى: لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ رَدَّ إِلَيْهِمْ بِضَاعَتَهُمْ قَالُوا: مَا نَبْغِي بَعْدَ هَذَا، أَيْ أَعْطَانَا الطَّعَامَ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْنَا ثَمَنَ الطَّعَامِ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، فَأَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي وَرَاءَ ذَلِكَ؟

وَاعْلَمْ أَنَّا إِذَا حَمَلْنَا «مَا» عَلَى الاسْتِفْهَامِ صَارَ التَّقْدِيرُ أَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي فَوْقَ هَذَا الْإِكْرَامِ إِنَّ الرَّجُلَ رَدَّ دَرَاهِمَنَا إِلَيْنَا فَإِذَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ نَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ بِسَبَبِ حُضُورِ أَخِينَا.»[1].

٣-تأويله للرؤيا التي رآها الملك على الفور وهذا حال الكرماء الأوفياء الأنقياء، رغم دخوله السجن ظلما وعدوانا ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (سورة يوسف: الآية :٤٣) وإجابته للسائل (الساقي) ما طلب وهو أحد الفتيين اللَّذين كانا معه في السجن، وقد أوصاه عند خروجه بقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

فلم يعنِّفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك»[2] وهذا من كريم خُلقه حيث لم يعاتب الساقي ولم يمتنع من التأويل ولم يجعل ذلك على سبيل المقايضة في مقابلة الملك أو اشتراط الخروج، وفي الحديث «عَجِبْتُ لِصَبْرِ أَخِي يُوسُفَ وَكَرَمِهِ وَاللَّهِ يَغْفِرُ لَهُ حَيْثُ

(١) التفسير الكبير للرازي (١٨ /٤٨٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن(١/٣٩٩).

أُرْسِلَ إِلَيْه لِيُسْتَفتَي في الرُّؤْيَا وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلَ حَتَّى أَخْرُجَ وَعَجِبْتُ لِصَبْرِهِ وَكَرَمِه وَاللّه يَغْفِرُ لَهُ أُتِيَ لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَخْرجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُذْرِهِ وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَبَادَرْتُ الْبَابَ» ولكنه أراد أن يكون له العذر،كيف لا وقد وصفه النبي ﷺ بالكرم فقال: «الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيم، ابْنِ الكَرِيم، ابْنِ الكَرِيم يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ» قال ابن الأثير رحمه الله:[1] «فَهُوَ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ، رَابِعُ أَرْبَعَةٍ فِي النُّبوّة».[2].

وفي الحديث «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّه، ابْنُ نَبِيِّ اللّه، ابْنِ نَبِيِّ اللّه، ابْنِ خَلِيلِ اللَّه»[3] «وَأَصْلُ الْكَرَم كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَقَدْ جَمَعَ يُوسُفُ ﷺ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مَعَ شَرَفِ النُّبُوَّة مَعَ شَرَفِ النَّسَبِ وَكَوْنُهُ نَبِيًّا ابنَ ثَلَاثَة أَنْبِيَاءَ مُتَتَاسِلِينَ أَحَدُهُمْ خَلِيلُ اللّه ﷺ وَانْضَمَّ إِلَيْه شَرَفُ عِلْمِ الرُّؤْيَا وَتَمَكُّنه فيه وَرِيَاسَة الدُّنْيَا وَمُلْكِهَا بِالسِّيرَةِ الْجَمِيلَةِ وَحِيَاطَتِه لِلرَّعِيَّةِ وَعُمُومِ نَفْعِهِ إِيَّاهُمْ وَشَفَقَتِه عَلَيْهِمْ وَإِنْقَاذِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ تِلْكَ السِّنِينَ»[4].

٤-قوله: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٩٣) وهذه من صفات القيادة الناجحة،وهذا من كرمه عليه الصلاة والسلام حيث أكرم العشيرة بالكامل.

المبحث السادس: أثر الإيمان على صدقه-عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الصدق لغةً وشرعاً

الصدق لغةً: «الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْقَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّة فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِب. وَقَدْ صَدَقَ فِي الْحَدِيثِ وَتَصَادَقَا فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْمَوَدَّة. والمُصَدِّقُ: الَّذِي يُصَدِّقُك فِي حَدِيثِكَ. سُمِّيَ لِقُوَّتِه فِي نَفْسِه، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ. والصِّدقُ: مطابَقَةُ القَولِ الضّميرَ، والمُخْبَرَ عَنْهُ مَعاً»[5].

الصِّدْق شرعاً: عُرِّف بعدة تعريفات منها:

١- «الْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ الْهَلَكَة، وقيل: أَنَّ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ.

وقيل:الصِّدْق: ألا يكونَ في أحوالك شَوْبٌ[6]، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب.

---

(١) (أبو الحسن) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المشهور (بابن الأثير الجزري) ولد سنة٥٤٤هـ عالم أديب مؤرخ إسلامي كبير توفي سنة ٦٠٦هـ يُنظر في ترجمته: معجم المؤلفين(٨/ ١٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث ص: ١٦٧

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (الأنبياء) باب (قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾) (٣/ ١٢٢٤)، حديث رقم: (٣١٧٥)، ومسلم، كتاب (الفضائل)، باب (من فضائل يوسف -عليه السلام-) (٤/ ١٨٤٦)، حديث رقم: (٢٣٧٨).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٣٤).

(٥) الصحاح (٤/ ١٥٠٥) مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٩)، تاج العروس (٢٦/ ٥).

(٦) (الشوب) مَا اخْتَلَط بِغَيْرِه من الْأَشْيَاء وبخاصة السوائل وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿ثمَّ إِن لَهُم عَلَيْهَا لشوبا من حميم﴾.(سورة الصافات:الآية:٦٧).

٢- وقيل: الصِّدْقُ ضِدُّ الْكَذِبِ، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان»[١].

ولامنافاة بين هذه التعريفات، إذ كلها تصب في قالب واحد وهو موافقة الظاهر للباطن.

ثانياً:من مظاهر صدقه -عليه الصلاة والسلام- التي تدل على -قوة إيمانه بالله تعالى-:

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ (سورة الزمر: الآية: ٣٣)

«﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: في قوله وعمله»[٢]ويدخل في ذلك دخولاً أولياً أنبياء الله ورسله ومنهم نبي الله -يوسف عليه الصلاة والسلام-فقد كان صادقاً مصدِّقاً، صادقاً في أقواله، ومصدقاً في أفعاله على المتابعة والإخلاص ،فقد ضرب أروع المثل في الصدق وهذا بشهادة امرأة العزيز حينما قالت: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف :الآية : ٥١) حيث اعترفت بأنها هي السبب في فتنته وإغرائه وأنه من الصادقين .

وبشهادة الفتى الذي جاءه ليستفتيه في رؤيا الملك التي رآها ، فقد وصف نبي الله يوسف- بالصديق فقال : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٤٦) . «والصِّدِّيقُ أَصْلُهُ صِفَةٌ مُبَالَغَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الصِّدْقِ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِه تَعَالَى: وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ فِي سُورَةِ الْعُقُودِ (يعني المائدة) ، وَغَلَبَ اسْتِعْمَالُ وَصْفِ الصِّدِّيقِ اسْتِعْمَالُ اللَّقَبِ الْجَامِعِ لِمَعَانِي الْكَمَالِ وَاسْتِقَامَةِ السُّلُوكِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ تِلْكَ الْمَعَانِيَ لَا تَجْتَمِعُ إِلَّا لِمَنْ قَوِيَ صِدْقُهُ فِي الْوَفَاءِ بِعَهْدِ الدِّينِ.»[٣].

وحينما وصفه بالصديق وصفه بناء عن تجربة ومعاشرة واختلاط لاحظها حينما جربه وخالطه في السجن فانطلق الفتى ليدلهم على الصديق وهو واثق أن يوسف -عليه الصلاة والسلام -قادرٌ على تأويل الرُّؤيا لما رأى من أحوال يوسف عليه الصلاة والسلام من الصدق مع ربه في الأحوال والأقوال والأفعال واتصافه بطهارة القلب، ونقاء السريرة وطلب منه تأويل ذلك ليوصلها إلى الملك لعل هذا الأمر يكون سبباً لخلاصه من قيد السجن.

لا شك أن خلق الصدق يتشعب عنه جملة من الأخلاق الفاضلة منها:

اللجوء إلى الله والإكثار من دعائه، والثبات والصبر والرضا، ومن هؤلاء الرجال الذين صدقوا مع الله وصدقوا مع الخلْق نبي الله -يوسف عليه الصلاة والسلام- ومما يدل على صدقه:

١-صدقه مع الله وعدم ركونه إلى نفسه، واغتراره بإيمانه، حيث لجأ ودعا ربه وتوجه إليه

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٧٤) والتعريفات:ص١٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن.ص٧٢٤.

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٤).

قائلا: ﴿وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾.

٢- دعوته إلى الله وهو في السجن، حيث لم تثنه المصائب عن القيام بواجب الدعوة إلى التوحيد. ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة يوسف: الآية:٣٩).

٣- صموده وثباته على المحن والمصائب التي تعرض لها كصبره على محنة امرأة العزيز، وصبره على دخول السجن والبقاء فيه كما قال ابن القيِّم : رحمه الله «فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ»[١] هذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة قلبه وثبات جأشه[٢] وقدمه، وهذا من آثار الصدق.

٤- تبرئته لنفسه مما رمته به -امرأة العزيز-من الفاحشة فقال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ (سورة يوسف: الآية:٢٦). «وقال ﴿معاذ الله»﴾ ويشهد لهذا تبرئة الشهود له كما قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة يوسف: الآيتان:٢٦:٢٧).

واعتراف امرأة العزيز ببراءته حينما قالت للنسوة: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية :٥١).

واعتراف النسوة ببراءته في قوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (سورة يوسف: الآية :٥١).

واعتراف زوجها ببراءته حينما قال: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (سورة يوسف: الآيتان: ٢٨-٢٩).

والمقصود: أن الصدق خُلُقٌ عظيم، وعلامة من علامات المتَّقين، ومن أبرز أخلاق الأنبياء والمرسلين، وحمله شديد على النفس، ويحتاج إلى جهاد وصبر واستعانة بالمولى جل جلاله لا يصدر إلا من مخلص قد استوت سريرته بعلانيته، قال ابن القيِّم رحمه الله: «فَحَمْلُ الصِّدْقِ كَحَمْلِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي. لَا يُطِيقُهُ إِلَّا أَصْحَابُ الْعَزَائِمِ.»[٣] فمن صدق مع الله بنيته وقوله ولسان حاله، وصل إلى مرتبة الصديقية، فأساس الإيمان هو الصدق ،فإذا وقر في القلب، صدَّقته الجوارح، وتفرعت عنه الأعمال الصالحة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٧٤).

(٢) الجَأْش: القلب، والنَّفْس، والجَنَان. يقال: فُلَانٌ رابِطُ الجَأْش: أَيْ ثَابِتُ القَلْب لَا يَرْتاع وَلَا ينْزعج للعَظائم والشَّدائد. النهاية في غريب الحديث (١/٢٣٢).

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٦٤).

المبحث السابع: أثر الإيمان على أمانته-عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الأمانة لغةً وشرعاً:

الأمانة لغة: «الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ التَّصْدِيقُ. وَالْأَمَنَةُ مِنَ الْأَمْنِ. وَالْأَمَانُ إِعْطَاءُ الْأَمَنَةِ. وَالْأَمَانَةُ ضِدُّ الْخِيَانَةِ.

يُقَالُ: أَمِنْتُ الرَّجُلَ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا، وَآمَنَنِي يُؤْمِنُنِي إِيمَانًا. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: رَجُلٌ أُمَّانٌ: إِذَا كَانَ أَمِينًا.»[1].

الأمانة شرعاً: تعددت تعريفات الأمانة:

١- فقيل: «الْأَمَانَة: كل مَا يؤتمن عَلَيْهِ كأموال وَحرم وأسرار فَهُوَ أَمَانَة»[2].

٢- وقيل: «الْأَمَانَةُ مَصْدَرٌ سُمِّيَ بِهِ الشَّيْءُ الَّذِي فِي الذِّمَّةِ.»[3].

٣- وقيل: «الأمانة: هِيَ كُلُّ حق لزِمَك أدَاؤه وحِفْظه.»[4].

فقد دلَّت هذه التعريفات على أن الأمانة ما يُؤتمن عليه الإنسان من الحقوق اللازمة التي يجب عليه أن يؤديها ويحفظها.

ثانياً: من مظاهر أمانته -عليه الصلاة والسلام-التي تدل على-قوة إيمانه بالله تعالى-:

لا يخفى أن الأمانة خُلة مميزة لأصحاب الرسالات، «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (سورة الدخان: الآية: ١٨) ونبينا يُوسف -عليه الصلاة والسلام-من صفاته المثلى» الأمانة ويتجلى هذا فيما يلي:

١- أن الملكَ حينما تحقق من براءة يوسف -عليه الصلاة والسلام -ونزاهة عرضه وعفته، وصدقه وأمانته، وعلمه ورجاحة عقله طلب منهم أن يحضروه حتى يقربه إليه ويجعله من أصفيائه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾. (سورة يوسف: الآية :٥٤) فقوله: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ «أَيْ: إِنَّكَ عِنْدَنَا قَدْ بَقِيتَ ذَا مَكَانَة وَأَمَانَة»[5] وكأن في هذه العبارة إشعاراً له بالأمان «فقوله :(مَكين) أي :شديد المَكْنَة، من الْمَكَانَة، وهي حالة يتمكن بها صاحبها من مراده ،أمين من الأمانة وهي حال يؤمن معها نقض العهد.»[6].

ثم لما وصفه بالأمانة وأعطاه العهد بالمكنة طلب منه يوسف -عليه الصلاة والسلام-ما

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣) لسان العرب (١٣/٢١).

(٢) الكليات. ص١٧٦.

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٣٨٦).

(٤) فيض القدير للمناوي (١/ ٢٢٣). تحفة الاحوذي (٤/٤٠٠.).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٥).

(٦) نظم الدرر (١٠/١٣١).

يثبت تصوره فقال له: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (سورة يوسف: الآيتان : ٥٥-٥٦).

وهذا يدل على قوته وأمانته حيث طلب منه ولاية خزائن أرض مصر وتدبيرها من جهة الإيرادات والمصروفات، وطلبه هذا، لأنه علم من نفسه أنه أهلٌ لذلك، ولأنه علم أن الأمانة ستضيع باستبعاد أهل الحق وغلبة الجهل ،ووصف نفسه بالحفظ والعلم لسببين:

الأول أنهما من أبرز الصفات المطلوبة لمن استرعاه الله رعية فقوله: (حَفِيظٌ): أي: أمين عليها أضعها في موضعها وأصرفها لمن يستحقها (عَلِيمٌ) أي: بأحوال التصرف فيها.

الثاني: لأن مَلِك مصر ذكر له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ فلا تكون المكنة للعبد إلا إذا كان صاحب قوة وحزم، يحفظ لكل ذي حق حقه، ولايكون أمينا إلا إذا كان عالما بأوجه التصرف.

الثالث: مما يدل على أمانته أن إخوته اعترفوا بذلك قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ (سورة يوسف: الآية:٩١). «أي: أن الله فضّلك علينا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشِّيم، وأعزَّك بالعلم والحلم والصدق والفضل والأمانة؛ وإنا كنا لخاطئين بما فعلناه»[1].

والمقصود: أن الأمانة خُلة شريفة، وخلق نبيل، وصفة عظيمة من أعظم صفات أنبياء الله ورسله، ونبينا يوسف -عليه الصلاة والسلام-قد ضَرب أروع المثل في هذا الباب، فكان صادقاً في جميع معاملاته من رعاية الحدود والمحافظة على العهود، والوفاء بالوعود، والالتزام بالتكاليف، وحفظ الحقوق وأداء ما اسْتُودِع، وهذا دليل على الإيمان العظيم والإخلاص الجسيم، الذي يحمله في قلبه.

المبحث الثامن: أثر الإيمان على حكمته -عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الحكمة لغةً واصطلاحاً:

الحكمة لغة: «(حَكَمَ) الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السَّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ. وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ. وَتَقُولُ: حَكَّمْتُ فُلَانًا تَحْكِيمًا مَنَعْتُهُ عَمَّا يُرِيدُ. وحَكِّم الْيَتِيم أَي امْنَعْه من الْفساد وأصلحه كَمَا تُصْلِح ولدَك وكما تَمنعهُ من الْفساد. والحِكْمَة من العِلْم. والحَكِيمُ العالِمُ، وصاحبُ الحِكْمَة، وَقد حَكُمَ كَكَرُم: صَار حَكِيمًا، وَالْحَكِيمُ: الْمُتْقِنُ للأُمور، وَيُقَالُ لِمَنْ يُحسِنُ دَقَائِقِ الصِّناعات ويُتْقِنُها: حَكِيم.وأَحْكَمَ الأَمر: أَتقنه، وأَحْكَمَتْه التجاربُ عَلَى المَثَل،

(١) تيسير الكريم الرحمن.ص٤٠٤.

وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذا كَانَ حَكِيمًا: قَدْ أَحْكَمَتْه التجارِبُ.»[1].

الحكمة اصطلاحاً:

فقد عرَّفها أهل العلم بعدة تعريفات منها:

١- هي «كُلّ ما يمنعُ من الجَهل وزجَر عنْ القَبيح»[2].

٢- وقيل: «الْعِلْم الْمُتَّصف بِالْأَحْكَام الْمُشْتَمِل عَلَى الْمَعْرِفَة بِاللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَصْحُوب بِنَفَاذ الْبَصِيرَة وَتَهْذِيب النَّفْس وَتَحْقِيق الْحَقّ وَالْعَمَل بِهِ وَالصَّدّ عَنْ اتِّبَاع الْهَوَى وَالْبَاطِل وَالْحَكِيمُ مَنْ لَهُ ذَلِكَ»[3].

٣- وقيل: «هي العلوم النّافعة، والمعارف الصّائبة، والعقول المسدّدة، والألباب الرّزينة، وإصابة الصّواب في الأقوال والأفعال.

قال ابن سعدي رحمه الله: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام»[4].

٤- وقيل: «فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي.»[5].

٥- وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَاد بِالْحِكْمَةِ هُنَا فَقِيلَ الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْل وَقِيلَ الْفَهم عَن اللَّه وَقِيل مايشهد الْعَقْلُ بِصِحَّتِهِ وَقِيلَ نُورٌ يُفَرَّقُ بِهِ بَيْنَ الْإِلْهَامِ وَالْوَسْوَاسِ وَقِيلَ سُرْعَةُ الْجَوَابِ بِالصَّوَابِ وَقِيلَ غير ذَلِك».[6].

والذي نستفيده من جملة هذه التعريفات: أن الحكمة: عبارة عن هيئة في النفس تصدر عنها الأفعال بعلم وحلم وأناة فينتج عنها إصابة الحق في الأقوال والأعمال، ووضع الأشياء في مواضعها، والتمييز بينها وتنزيل الأحكام عليها، وإتقان الأمور، وتحقيق الغايات والوسائل، وهذا لا يتأتَى إلا بفهم القرآن، والفقه في الدين، ومعرفة حقائق الإيمان.

ثانياً: من مظاهر حكمته -عليه الصلاة والسلام- التي تدل على إيمانه:

١-في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ (سورة يوسف: الآيتان: ٥٩، ٦٠).

---

(١) تهذيب اللغة (٦٩/٤) مقاييس اللغة (٩١/٢)، مختار الصحاح (٧٨/١)، القاموس (١٠٩٥/١)، تاج العروس (٥٢١/٣١).

(٢) فيض القدير (٥١٠/٥).

(٣) شرح مسلم للنووي (٣٣/٢).

(٤) ا نظر: تيسير الكريم الرحمن.ص٩٥٧.

(٥) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٩).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر(١٠٠/٧).

فقد دلَّت الآية على حكمته من عدة أوجه:

أ- أن يوسف -عليه الصلاة والسلام- لما جهزهم استوصى بهم خيراً وأكرمهم وأحسن وفادتهم ومقامهم وحمل لهم ما يحتاجونه من الميرة، ومن حكمته وحسن تدبيره ووضعه للأمور في مواضعها أنه كان لا يـ يل لأحد أكثر من حمل بعير.

ب- لما سألهم عن أحوالهم وأخذ يستقصي أوضاعهم أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم تركوه عند والدهم، فاشترط عليهم في المرات القادمة الإتيان بهذا الأخ مرغباً لهم بما أراهم من كريم أفعاله وحسن ضيافته قائلا: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ وهذا ترغيب لهم بالحضور لعلمه بحاجتهم إلى الميرة .

وفي قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ هذا ترهيب وتخويف لهم بمنعهم من الميرة في المرّة القابلة إذا قدموا بغير أخيهم.

وزادهم ترغيباً حينما أمر الفتيان بردّ البضائع التي قدمُوا بها وجعلها في رحالهم من حيث لم يشعروا، وذلك زيادة في الترغيب وتحفيزاً لهم للعودة مرة أخرى.

وهذا من شروط القائد الحكيم الناجح والإداري السياسي المحنَّك.

٢-من حكمته في باب الدعوة إلى الله أنه ابتدأ بدعوة الفتيين إلى التوحيد وهو داخل السجن قبل أن يعبر لهما الرؤيا: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٣٩) فنظر إلى أحوالهما، وطريقة دعوتهما، والبداءة بما هو أهم لهما.

٣- ومن حكمته حينما قال للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٥٥). وكانت مصر حينذاك «خزانة الأرض»[١] حيث علم من نفسه قدرته على تصريف أمورها وتدبيرها والاعتناء بها وتخزينها في سنبلها حتى ينتفع الناس منها في السنين المجدبة، ولما عمّ القحطُ والجدبُ، صار الناسُ يقصدونَ أرض مصر، حيث جعل لكل واحد منهم كيل بعير، وحصل بهذا نفعٌ عظيمٌ، وطلب نبي الله يوسف عليه السلام، هذا الطلب من باب النصح للأمة، ولأنه علم من نفسه العدل والحكمة والإصلاح ولهذا قال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ فهي تنال بالحفظ والعلم.

٤- وتتجلى حكمته أيضاً في تعبيره للرؤيا قال أبو حيَّان رحمه الله[٢] «وَ(مَا) فِي قَوْلِه: (فَمَا حَصَدْتُمْ) شرطية أو موصولة، (فذروه في سُنْبُله) فذروه في سُنْبُله إِشَارَةً برَأْيٍ نَافِعٍ بِحَسَبِ طَعَامِ مِصْرَ وَحِنْطَتِهَا الَّتِي لَا تَبْقَى عَامَيْنِ بِوَجْهٍ إِلَّا بِحِيلَةِ إِبْقَائِهَا فِي السُّنْبُلِ، فَإِذَا بَقِيَتْ فِيهَا

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢١٣/٩) وفيه :قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَس يَقُولُ: مِصْرُ خِزَانَةُ الْأَرْضِ، أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِه: «اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ» أَيْ عَلَى حِفْظِهَا، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. (إِنِّي حَفِيظٌ) لِمَا وُلِّيتُ (عَلِيمٌ) بِأَمْرِه.

(٢) (أبو حيَّان) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي المشهور (أثير الدين) الأديب اللغوي المفسر النحوي ولد سنة وتوفي سنة ٧٤٥هـ يُنظر في ترجمته: إنباه الرواة (٢٨٦/٤) (معجم المؤلفين (١٣٠/١٢).

انْحَفَظَتْ.[1].

ففي قوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ (سورة يوسف: الآية:٤٧)» -ذكر لهم أعوام اليسر وأعوام العسر فبدأ بذكر اليسر: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ ثم بذكر العسر، وهو(سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ) ثم ذكر مآلهم إلى اليسر ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

ففي قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ قال ابن عاشور رحمه الله: «وَأَشَارَ إِلَى إِبْقَاءِ مَا فَضُلَ عَنْ أَقْوَاتِهِمْ فِي سُنْبُلِه لِيَكُونَ أَسْلَمَ لَهُ مِنْ إِصَابَةِ السُّوسِ الَّذِي يُصِيبُ الْحَبَّ إِذَا تَرَاكَمَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ فِي سُنْبُلِه دُفِعَ عَنْهُ السُّوسُ»[2].

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ «أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِتَقْلِيلِ مَا يَأْكُلُونَ فِي سَنَوَاتِ الْخِصْبِ لِادِّخَارِ مَا فَضُلَ عَنْ ذَلِكَ لِزَمَنِ الشِّدَّةِ»[3].

فلم يكتف بتأويل الرؤيا فقط، بل دلَّهم على ما ينفعهم، ووضع لهم خطة في بيان طرق التخزين والاستهلاك وما يتخذونه حيال السنوات القادمة.

وهذا من شكره لله، حيث قدَّم لهم ثمرة حكمته وخلاصة ما عنده من الفقه والتجربة.

٥-في قوله: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٧٠) حيث دبَّر لهم حيلة حتى يصل إلى مقصود مباح وذلك بوضعه الصُّواع[4] في رحل أخيه حتى يبقيه معه ويخلصه منهم ، وهذه المكيدة إلهامٌ من الله ليوسف -عليه الصلاة والسلام- لما فيها من الحكمة والمصالح التي تعود عليه وعلى إخوته.

وفي قوله: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ (سورة يوسف: الآية: ٧٦) دليل على حكمته لدفع الرِّيبَةوالتُّهمة.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾،أقبل إخوة يوسف -عليه الصلاة والسلام-مستفهمين ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ وكان الحكم في أرض كنعان أنهم يأخذون السارق ويسترقونه فيكون مُلْكاً لصاحب المال المسروق[5].

---

(١) تفسير البحر المحيط (٦/٢٨٥).

(٢) التحرير والتنوير(١٢/٢٨٧).

(٣) المصدر السابق ١٧٨).

(٤) والصَّاع مكيال معروف. والجمع صيعان الصواع الذي كان يشرب فيه الملك، وكان إناء من فضة به كانوا يكيلون الطعام انظر: تهذيب اللغة (٩/١٨١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (١/٢١١).

(٥) قَالَ ابْنُ عَبَّاس كَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَسْتَعْبِدُونَ كُلَّ سَارِقٍ بِسَرِقَتِهِ وَكَانَ اسْتِعْبَادُ السَّارِقِ فِي شَرْعِهِمْ يَجْرِي مَجْرَى وُجُوبِ الْقَطْعِ فِي شَرْعِنَا.تفسير الرازي(١٨/٤٨٧).

وفي قوله: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾. (سورة يوسف: الآية: ٧٧) وفي قوله ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (سورة يوسف: الآيتان: ٧٨ – ٧٩).

ومن حكمته لما طلبوا منه أن يأخذ أحدا منهم مكانه رد عليهم بأن هذا ظلمٌ، والظلم ينافي الحكمة، فهو وضع للشيء في غير موضعه، فهذه مواقف عظيمة من نبي كريم تجلت عنده الحكمة في أقواله وأعماله وجميع أموره من جهة وضع الأمور في مواضعها وتنزيلها منازلها، كيف لا وقد امتنَّ الله عليه بالحكمة كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (سورة يوسف: الآية:٢٢) أي: «حِكمةً وهو العلم المؤيَّدُ بالعمل»[١].

المبحث التاسع: أثر الإيمان على برِّه لوالديه:

أولاً: بيان معنى البر لغةً وشرعاً:

«**البرُّ لغةً:** خلاف العقوق، والمَبَرَّةُ مثْله. تقول: بَرِرْتُ وَالدي، بِالْكَسْر، أَبَرُّهُ بِرّاً وَقَدْ بَرَّ والدَه يَبَـرُّه ويَبِرُّه بِرّاً، فَيَبَـرُّ عَلَى بَرِرْتُ ويَبِرُّ عَلَى بَرَرْتُ. وَجَمْعُ البَرِّ أَبْرَارٌ، وجمعُ الْبَارِّ البَرَرَةُ. وفلانٌ يَبَرُّ خالقَه ويَتَبَرَّرُهُ أَي يُطِيعُهُ. وَالْأُمُّ (بَرَّةٌ) بِوَلَدِهَا. وبَرَّ فلانٌ فِي يَمِينِه، أي: صَدَقَ»

وَالْبِرُّ: ضِدُّ الْعُقُوقِ (والبر: الصِّدق)، يقال فيهما: بررتُ أبرُّ. ورجلٌ بَارٌّ وَبِرٌّ[٢].

والبِّر شَرعاً: «كلمة جامعة لكل أصناف الخير ويراد منها ما هو زائد عن حدود التقوى، فهو مرتبة فوق التقوى ودون مرتبة الإحسان»[٣].

ثانياً: من مظاهر برِّه لوالديه التي تدل على أنها نتجت من قوة إيمانه بالله تعالى:

١-في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٤) وقوله: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِن قَبْلُ﴾ (سورة يوسف: الآية:١٠٠) فقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾: فيه الأدب مع الوالدين وبرهما حيث ناداه باستعطاف وتذلل وانكسار ورِقّة، والله يقول ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (سورة الإسراء: الآية:٢٤) «وَفِيهِ إِظْهَارُ الطَّوَاعِيَةِ وَالْبِرِّ»[٤].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(١٥٩/٣).

(٢) الصحاح (٥٨٨/٢) مقاييس اللغة (١١١/١).

(٣) البر والصلة لابن الجوزي ص٤-٥.

(٤) البحر المحيط (٢٣٨/٦.).

٢-وفي قوله: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٩٣) أراد نبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام- أن يبشر والده أنه لايزال حياً، ويدخل السرور عليه، «وَفَائِدَةُ إِرْسَاله إِلَى أَبِيه الْقَمِيصَ أَنْ يَثِقَ أَبُوهُ بِحَيَاتِه وَوُجُودِه فِي مِصْرَ، فَلَا يَظُنُّ الدَّعْوَةَ إِلَى قُدُومِه مَكِيدَةً مِنْ مَلِكِ مِصْرَ، وَلِقَصْدِ تَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ لَه».[١].

٣- وفي قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ (سورة يوسف: الآيتان: ٩٩-١٠٠) قال أبو جعفر: يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَلَمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأَهْلُوهُمْ عَلَى يُوسُفَ ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾، يَقُولُ: ضَمَّ إِلَيْه أَبَوَيْه، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾».[٢] وهذا من بره عليه الصلاة والسلام حيث أحسن استقبالهما وآواهما وأظهر لهما الحفاوة إجلالا وإكراما لهما وقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يعني: أجلسهما في مكان مرتفع وفيه تقدير وإعزاز وإكرام الوالدين في التعامل. ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلاً ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ أي: التي كان قصّها على أبيه ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ وَقَدْ كَانَ هَذَا سَائِغًا فِي شَرَائِعِهِمْ إِذَا سَلَّمُوا عَلَى الْكَبِيرِ يَسْجُدُونَ لَهُ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَا جَائِزًا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى شَرِيعَةِ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحُرِّمَ هَذَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ، وَجُعِلَ السُّجُودُ مُخْتَصًّا بِجَنَابِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٣].

وهذه المظاهر تدل دلالة واضحة على برِّه فإن من صور البر الواجبة (الإحسان إلى الأقرب فالأقرب) وليس هناك أقرب من الوالدين فبر الوالدين من صفات الأنبياء والمرسلين، ومن خلال عباد الله المتقين، وباب من أبواب الفوز برضا الرحمن الرحيم.

(١) التحرير والتنوير (٥١/١٣).
(٢) جامع البيان (٢٦٤/١٦).
(٣) تفسير ابن كثير(٤١٢/٤).

المبحث العاشر: أثر الإيمان على إخلاصه -عليه الصلاة والسلام-

أولاً: بيان معنى الإخلاص لغةً وشرعاً:

الإخلاص لغةً: «الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ. يَقُولُونَ: خَلَّصْتُهُ مِنْ كَذَا وَخَلَصَ هُوَ. خَلَصَ الشَّيْءُ، بِالْفَتْحِ، يَخْلُصُ خُلُوصاً وَخَلاصاً إِذا كَانَ قَدْ نَشِبَ ثُمَّ نَجا وسَلِم. وأَخْلَصه وخَلَّصه وأَخْلَص للَّه دينَه: أَمْحَضَه. وَالتَّخْلِيصُ: التَّنْجِيَة مِنْ كُلِّ مَنْشَب، تَقُولُ: خَلَّصْتَه مِنْ كَذَا تَخْلِيصاً أَي نَجَّيْته تَنْجِيَةً فَتَخَلَّصَ، وتَخلّصَه تَخَلُّصاً كَمَا يُتخلَّصُ الغَزْلُ إِذا الْتَبَس»[1]

الإخلاص شرعاً: تنوعت العبارات في تعريف الإخ ص:

فقيل: «تخليص القلب من كلّ شَوْب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْإِخْلَاصُ أَنْ لَا تَطْلُبَ عَلَى عَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا مُجَازِيًا سِوَاهُ.

وقيل: الإخلاص: عَمَلٌ يُعِينُ عَلَى الْخَلَاصِ ، وقيل: الْخَلَاصُ عنْ رُؤيةِ الأَشْخَاصِ، وقيل تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنَ التُّهْمَة، والْخَلَل.»[2].

«وقيل: هُوَ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَة. وقيل: تَصْفِيَةُ الْفِعْلِ عَنْ مُلَاحَظَة الْمَخْلُوقِينَ، وقيل: اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. قيل: تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ»[3].

والذي نستفيده من جملة هذه التعريفات: أن الإخلاص هو: كمال التعلق بالمولى سبحانه وتعالى وتصفية وتنقية العمل والقلب عمّا يشوبه من حظ النفس، وملاحظة المخلوقين.

ثانياً: من مظاهر إخلاصه التي تدل على كمال إيمانه ويقينه بالله تعالى:

١-مما يدل على إخلاصه شهادة الله له بأنه من المخلصين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٢٤) «أَيْ: مِنَ الْمُجْتَبِينَ الْمُطَهَّرِينَ الْمُخْتَارِينَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ».[4].

(١) مقاييس اللغة (٢٠٨/٢) لسان العرب (٢٦/٧) التوقيف على مهمات التعاريف ص٤٢.

(٢) التعريفات: ص١٣. مدارج السالكين (٩٢/٢).

(٣) مدارج السالكين (٩١/٢).

(٤) تفسير ابن كثير(٣٨٢/٤).

«قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ[1] وَأَبُو عَمْرٍو[2] وَابْنُ عَامِرٍ[3] «الْمُخْلَصِينَ» بِكَسْرِ اللَّامِ، وَتَأْوِيلُهَا الَّذِينَ أَخْلَصُوا طَاعَةَ اللَّهِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ اللَّامِ، وَتَأْوِيلُهَا: الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ، وَقَدْ كَانَ يُوسُفُ ﷺ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، لِأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَخْلَصًا لِرِسَالَةِ اللَّهِ تعالى».[4].

فالإخلاص: أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، بل هو دين الأنبياء جميعا، وهو سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ وهو طوْق النَّجاة من الشرور والفتن، وهو سبيل الخلاص.

كما قال ابن تيمية -رحمه الله- «فَاللَّهُ تَعَالَى يبتلي عَبده الْمُؤمن ليطهره من الذُّنُوب والمعايب وَمن رَحمته بِعَبْدِهِ المخلص أن يصرف عَنهُ مَا يغار عَلَيْهِ مِنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.[5].

وقال ابن القيم رحمه الله:»فالسُّوء: الْعِشْق وَالْفَحْشَاء: الزِّنَا»[6] «وقال أيضا: فَلَمَّا أخلص يوسف عليه السلام لربِّه، صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فالإخلاص هُوَ سَبِيل الْخَلَاص»[7].

٢- ومن صور إخلاصه أيضاً: إخلاصه في الدعوة إلى الله وهو في السجن فلم يدعُ إلى نفسه وإنما دعا إلى توحيد ربه: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (سورة يوسف: الآية:٣٩).

٣- إخلاصه في ترك المعصية لله، وليس أدلّ على ذلك من قصته مع امرأة العزيز، فإن المقتضى وجود والفرصة مُهيئة، والمكان خال، والشروط متوفرة، لكن منعه مانع الخوف من الله، فقد ترك المعصية خالصاً من قلبه فحصل له كمال العفة.

ولذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾.

فعصمه الله بالإخلاص واللجوء إليه، كما قال ابن سعدي -رحمه الله-: «هذان الأمران من

---

(١) عَبْدُ اللَّه بنُ كَثِيْر بن عَمْرو بن عَبْد اللَّه الكِنَانيُّ الإمَامُ، العَلَمُ، مُقْرِئُ مَكَّة، وَأَحَدُ القُرَّاء السَّبعَة وَثَّقَهُ: عَليُّ بنُ المَدِيْنِيِّ، وَغَيْرُهُ. وَكَانَ فَصِيْحاً، مُفَوَّهاً، وَاعظاً، كَبِيْرَ الشَّأن. النبلاء (٥/٣٢٢).

(٢) أَبُو عَمْرو بْنُ الْعَلَاء بْن عَمَّار بْن الْعُرْيَان بْن عَبْد اللَّه بْن الْحُصَيْن التَّميميُّ كَانَ عَلَّامَةَ زَمَانه في اللُّغَة وَالنَّحْو وَعلم الْقُرْآن، وَمن كِبَار الْعُلَمَاء الْعَامِلِينَ ،وَكَانَ من أَشْرَاف الْعَرَب، مَدَحَه الفَرَزْدَقُ وَغَيْرُه. قَالَ يَحْيَى بنُ مَعِيْن: ثِقَةٌ. البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٤٣٣).

(٣) عَبْدُ اللَّه بنُ عَامر بن يَزِيْدَ اليَحْصُبيُّ ابْن تَمِيْم، الإمَامُ الكَبِيْرُ، مُقْرِئُ الشَّام، وَأَحدُ الأَعْلاَم وَثَّقَهُ: النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ رُوِيَ: أَنَّهُ سَمِعَ قِرَاءَةَ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ. طبقات القراء ١ / ٤٢٣.

(٤) تفسير القرطبي (٩/١٧٠).

(٥) الاستقامة لابن تيمية (٢/٥٩).

(٦) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان(٢/١٤١).

(٧) مفتاح دار السعادة (١/٢٧٧).

ألطاف حفظ الباري لخواص أنبيائه وأصفيائه صرف أسباب السوء والفحشاء الداخلية، وصرف الأسباب الخارجية، ومن أراد به خيرًا صرف عنه الأمرين اللَّذَين هما مجموع الفتن، وذِكْرُ الله لهذا الصّرف الذي هو من أجلِّ نعمه له سببان:

أحدهما: قوة الإخلاص من العبد واستخلاص الله له.

والثاني: اللهج بالتضرُّع والدعاء، فمن أخلص لله، استخلصه الله ووفقه لفعل الخيرات، وصرف عنه السوء والمكروهات، ومن تضرَّع له وألح بالدعاء، استجاب الله له فصرف عنه شر شياطين الإنس والجن، وكفاه كيد الكائدين ومكر الماكرين فيوسف -صلى الله عليه وسلم- لما كمَّل الأمرين الإخلاص لله، والتضرع له والالتجاء إليه والاعتصام به، حفظه الله حفظًا كاملًا من الشرور الباطنة والظاهرة، الداخلية والخارجية، والله تعالى يقصُّ علينا قصص أنبيائه؛ ليكون ذلك عبرة لنا، والعبرة هنا أن كل من له حظّ من الإخلاص والدعاء والتضرع، فله حظٌّ من حفظ الله وصيانته بحسب ما قام من قوة الأمرين أو ضعفهما، ومن فاته الأمران وُكِل إلى نفسه، ولم يحصل له حفظ ولا صيانة، ووقع في فتن الشهوات والشبهات»[1].

المبحث الحادي عشر: أثرالإيمان على إحسانه عليه الصلاة والسلام-:

أولاً: بيان معنى الإحسان لغةً وشرعاً:

الاحسان لغةً: «والإحْسانُ: ضدُّ الإِسَاءَة. وَرَجُلٌ مُحْسِنٌ ومِحسَان وَيُقَال: أَحْسِنْ يَا هَذَا فإنّك مِحْسانٌ، أَ لَا تزَال مُحْسِناً.»[2].

الإحسان شرعاً:

«الإِحْسانُ على وَجْهَين:

أَحَدُهما: الإِنْعامُ إِلى الغَيْر.

وَالثَّاني: إِحْسانٌ في فعْله، وذلكَ إِذا عَلمَ عِلْماً حَسَناً أَو عَمِلَ عَمَلاً حَسَناً»[3] وقيل: الْإِحْسَان: «هُوَ فعل مَا ينفع غَيره بِحَيْثُ يصير الْغَيْر حسنا بِهِ»[4] فالإحسان بناء على هذه التعريفات إيصال الخير والنفع إلى الغير.

ثانياً: من مظاهر إحسانه -عليه الصلاة والسلام التي نتجت عن- إيمانه بالله تعالى:

١-دلّت قصة يوسف على عظيم إحسانه مع ربه ومولاه على إحسانه مع خلقه وعبيده.

فالله عزجل آتاه علماً وحكماً وهذه من أجلّ ثمرات الإحسان.

---

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص ٢٢٨).

(٢) انظر: القاموس المحيط (١١٨٩/١)، لسان العرب (١١٧/١٣)، تهذيب اللغة ٤(/١٨٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعريف. ص٤٠.

(٤) الكليات ص٥٣.

والله شـهد له بأنه من أهل الإحسـان فقال تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (سـورة يوسف: الآية: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِـنِين﴾. (سورة يوسف: الآية:٩٠).

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٢٢).

فالله يهب المحسن علماً وعملاً وفقهاً وثباتاً وبصيرةً وأجراً وحكماً جزاء إحسانه في أقواله وأعماله، وذكر أن معيَّته لأهل الإحسان بتوفيقه لهم وتسديده إياهم لما فيه الخير والصلاح، ورحمته قريبة من أهل الإحسان، كيف لا وهو المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه[١].

وشـهد له الفتيان في السـجن بإحسانه، حينما استفتوه في تأويل الرؤيا فقالا له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية:٣٦) أي: في عبادة الله وفي السعي التام في نفع الخلائق.

شـهد له إخوانه بالإحسـان فقالوا له: ﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَـيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ﴾ (سـورة يوسـف: الآية: ٧٨) فأنطقهـم الله واعترفوا بفضـله وسابق إحسانه، وقد ظهرت علامات الإحسان ودلائل الإيمان على وجهه ولسانه وجوارحه فقد أَخْرَجَ ابْن أبي حَاتِم عَنِ الضَّـحّاك، أَنَّهُ سُـئِلَ عَنْ قَوْلِه: ﴿إِنّا نَراكَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ ما كانَ إِحْسـانُ يُوسُـفَ قالَ: كانَ إذا مَرِضَ إِنْسانٌ في السِّجْنِ قامَ عَلَيْهِ وإذا ضـاقَ عَلَيْهِ المَكانُ أَوْسَعَ لَهُ، وإذا احْتاجَ جَمَعَ لَهُ[٢].

«وقال ابن جرير رحمه الله: «اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْإِحْسَـانِ الَّذِي وَصَـفَ بِهِ الْفِتْيَانِ يُوسُـفَ، فَقَالَ بَعْضُـهُمْ: هُوَ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُعَزِّي حَزِينَهُمْ، وَإِذَا احْتَاجَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ جَمَعَ لَهُ»[٣].

٢- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّـجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة

---

(١) المحسن «من أسماء الله تعالى الثابتة في السنَّة الصحيحة، ومما يدل على ثبوت الاسم في السنَّة:
١. حديث شَدَّاد بْن أَوْس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ فَأَحْسِنُوا وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا قِتْلَتَكُمْ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ).. رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤ / ٢٩٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧ / ٢٥٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٢٤)..
٢. حديث سمرة بن جندب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إنّ الله تعالى مُحْسِنٌ فأحْسِنُوا). رواه ابن عدي في «الكامل» (٦ / ٤٢٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٢٣).
٣. حديث أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إذا حَكَمْتُمْ فاعْدِلُوا وإذا قَتَلْتُمْ فأَحْسِنُوا فإنَّ الله مُحْسِنٌ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ). رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦ / ٤٠) وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤)..
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١١٦٠٥).
(٣) جامع البيان(٩٨/١٦).

يوسف: الآية:٣٦)

فإن الفتيين اللَّذَين دخلا معه في السجن كانا على ملة الكفر، وقد وثَقَا به وبعلمه وبحكمته، فجاءا إليه يستفيانه حينما رأيا إحسان هذا النبي العظيم وحُسن عطائه، وسعيه في نفع الناس، والاهتمام بهم والإحسان إليهم، وبذل الجهد في تحقيق مصالحهم على وجه حسن تستحسنه العقول السليمة والفطر النّقية.

ومن إحسانه لهما أنه لم يشرع في تأويل رؤياهما إلا بعد أن دعاهما إلى توحيد الله بذكر البراهين الدالة على وحدانيته ،وهذا يدل على أن أساس دعوة الأنبياء والمرسلين هو الدعوة إلى توحيد الله وحده، ويدل على حكمته في باب الدعوة إلى الله تعالى من جهة مراعاته لقاعدة (البداءة بالأهم فالأهم)[1] وكذلك إرادته الخير بالمسجونين لعل الله يفتح عليهم فيكون سببا في هدايتهم.

٣- ومن صور إحسانه اجتنابه الوقوع في الحرام، حين راودته امرأة العزيز فاستعاذ بالله من قولها ذاكرا إحسان سيده إليه ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٢٣) واختياره السجن للتخلص من مكر وكيد النساء.قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: استحبّ السجن والعذاب الدنيوي على لذةٍ حاضرةٍ توجبُ العذابَ الشديد[2].

٤- إحسانه إلى الناس باختياره منصب الولاية على خزائن الأرض. قالَ الزَّجّاجُ رحمه الله: وإنَّما سَأَلَ ذَلِكَ، لأَنَّ الأَنْبِياءَ بُعِثُوا بالعَدْل، فَعَلِمَ أَنَّهُ لا أَحَدَ أَقْوَمُ بِذَلِكَ مِنهُ.[3]. وَفي هَذا دَلِيلٌ عَلى جَوازِ أَنْ يَطلب الإِنْسانُ عَمَلًا يَكُونُ لَهُ أَهْلًا وهو بِحُقُوقِهِ وشُرُوطِهِ قائِمٌ.

٥- إحسانه لأخوته ويتجلى هذا الإحسان في صور عديدة:

تارة بإكرامهم والإحسان إليهم: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٦٢). قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: أراد أن يرَّغبهُم في إحسانه إليهم بالكيل لهم كيلا وافيا، ثم إعادة بضاعتهم

(١) قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم فالأهم وميز بين ما تميل نفسك إليه وتشتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السامة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درسا دقيقا، فإذا تحققت المصلحة وعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ص٣٢. وقال الشيخ حمود بن حمد الرحيلي: إن البدء بالأهم فالأهم من القواعد التي تحكم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بأن يبدأ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بإصلاح أصول العقيدة، فيأمر بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وينهى عن الشرك والبدع والشعوذة، ثم يأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم بقية الفرائض وترك المحرمات، ثم أداء السنن وترك المكروهات. قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٧٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج (١١٦/٣).وأخرج البيهقي في الشعب(٤٦٦/٧) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «قِيلَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَجُوعُ وَخَزَائِنُ الْأَرْضِ بِيَدِكَ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ، فَأَنْسَى الْجِيَاعَ».

إليهم على وجه لا يحسّون بها، ولا يشعرون ، فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن[١].

وتارة بالصبر على آذاهم والدفع بالتي هي أحسن: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ (سورة يوسف: الآية: ٧٧). عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ قَالَ: أَسَرَ فِي نَفْسِهِ: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[٢].

وتارة بالصفح عنهم وعدم توبيخهم وتأنيبهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. (سورة يوسف: الآية: ٩٢). يعني: لا أُعَيِّرُكم بَعْدَ اليَوْم بهَذا أبَدًا. وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إنَّما أشارَ إلى ذَلكَ اليَوْم، لأنَّهُ أوَّلُ أوْقاتِ العَفْوِ، وسَبِيلُ العافِي فِي مِثْلِه أنْ لا يُراجِعُ عُقُوبَة.)[٣] وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: فسمح لهم سماحا تاما، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين[٤].

وتارة بستر عيوبهم فلم يفضحهم: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (سورة يوسف: الآية:١٠٠) وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: «أحسن بكم» بل قال ﴿أَحْسَنَ بِي﴾ جعل الإحسان عائدا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب[٥].

وتارة بإسناد الشر إلى الشَّيْطَانِ وَشِرْكِه[٦]: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (سورة يوسف: الآية:١٠٠). فلم يقل «نزغ الشيطان إخوتي» بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحَرَه، وجَمَعَنا بعد تلك الفرقة الشاقة[٧].

٦- من صور إحسان الله إليه توفيقه لإسناد هذه النعم إلى مستحقها ومسندها ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (سورة يوسف: الآية:١٠٠).

والشاهد أن نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام شهد له الجميع بإحسانه للقريب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٣٩).

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي رحمه الله (٤٦٩/٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٥.

(٦) قال النووي رحمه الله في «الأذكار» (٢٢١) : قوله ﷺ: «وشركه»: روي على وجهين: أظهرهما وأشهرهما بكسر الشين مع إسكان الراء من الإشراك، أي: ما يدعو إليه، ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى.
والثاني: شركه: بفتح الشين والراء، أي: حبائله ومصايده، واحدها: شركة، بفتح الشين والراء، وآخرها هاء.

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٥.

والبعيد والصاحب والعدو (والده، وعزيز مصر، وامرأة العزيز، والنّسوة، والفتيان اللذان كانا معه في السجن، وإخوته)، وشهادة الله له أعظم،﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (سورة النساء: الآية: ٧٩)، هذا هو شأن أهل الإحسان فإن نفعهم متعدٍّ، وصدورهم منشرحة، والنعم عليهم متواترة، والنِّقم عنهم مدفوعة، والرحمة منهم قريبة، ومعية الله لهم حاصلة، وأجرهم محفوظ. وقد روى الطبراني عن رَسُول اللَّه ﷺ قال: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ»(١).

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسَّر ووفَّق وأتمَّ هذا البحث -بمنِّه وفضله وجوده وكرمه- وأسأله سبحانه أن يجعله علماً نافعًا خالصًا لوجهه الكريم

فهذا عرض موجز لأهم نتائج هذا البحث وتوصياته:

أولاً: النتائج:

١- أن كل خير ديني أو دنيوي يرجع إلى الإيمان وكماله، وكل فساد وشر يرجع إلى ما يناقضه أو ينقص منه.

٢- أن الإيمان هو الأساس القويم والركن المتين، لقيام شجرة الأخلاق الفاضلة، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقته الجوارح.

٣- أن الإيمان قول وعمل قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يتصور وجود أحدهما دون الآخر.

٤- أن القلب هو الأساس، وهو ملك الأعضاء وأشرفها على الإطلاق، بل هو موضع الإيمان والمعرفة، وآنية العلم والتوحيد، ومركز الاعتقادات، ومحل العزائم والإرادات، ومصدر السلوك والتوجيهات، ومنبع الشرور والخيرات، فبصلاحه يصلح العمل، وبفساده يفسد.

٥- أن الإيمان له أهمية كبرى، وفوائد جمة، وآثار عظمى، على الأفراد والمجتمعات.

٦- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أعظم الناس قدوة وأعلاهم قدراً، فحاجة البشرية لوجود الأنبياء أعظم من حاجتها للطعام والشراب، والماء والدواء، فلا يمكن أن نستغني عنهم وعما جاؤمن الخير والصلاح والسعادة والفلاح.

٧- أن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام -أكمل الأخلاق، والله تعالى وصفهم في القرآن بأجمل الصفات وأزكاها، فقد اتصفوا بالحياء، والعفة، والصدق، والصبر، والكرم،

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٧٥/٧) حديث رقم(٧١٢٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع(١٨٢٤).

والحكمة، والرحمة والحلم، والأمانة، والعدل، والصلاح، والرشاد، فهم صفوة الخلق الأخيار والمصّطفون الأبرار.

٨- وجوب الاقتداء والتأسي -بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام -في سلوكهم وأخلاقهم والحرص على السير على خطاهم، والاهتداء بهديهم.

ثانياً: التوصيات:

١- الحرص على غرس الإيمان في قلوب الناشئة، وتعظيم الله وإجلاله في القلوب، وتأصيله في النفوس بالحث على -طلب العلم الشرعي، -فهو الأساس العظيم والركن القويم، لقيام شجرة الأخلاق الفاضلة، فكلما عظُم الايمان في النفوس كلما ظهر آثر ذلك في الجوارح.

٢- أهمية تذكير الناس بأن الإيمان قول وعمل والتركيز على هذ الجانب حتى لايقعوا في فكر الإرجاء.

٣- غرس سير وصفات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأخلاقهم في المجتمعات عن طريق المحاضرات والخطب المنبرية والدروس العلمية والندوات.

٤- القيام بتدريس الطّلاب والطالبات -سير أنبياء الله ورسله- والاهتمام بهذا الجانب وإبرازه ببيان صفاتهم الحميدة، وأخلاقهم النبيلة، ومكانتهم وقدرهم، وربط ذلك بالنصوص الشرعية حتى يقتدوا بهم ويسلكوا مسلكهم.

٥- أهمية تذكير الناس بالقراءة في -سيرأنبياء الله ورسله- واتخاذهم قدوة، باقتفاء آثارهم، والتخلق بأخلاقهم والاهتداء بهديهم، وسننهم، والاهتمام بهذا الجانب، لأن به صلاح النفس والأفراد والمجتمعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، للإمام: أبي عبد الله ابن بطة العكبري تحقيق: رضا نعسان - يوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض - ط (٢) ١٤١٥هـ.

٣. الاستقامة، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني تحقيق: د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة ط(١) ١٤٠٣هـ.

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت ط(١) -١٤١٥ هـ.

٥. أصول السنة لمحمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي -ابن زمنين- تحقيق: عبد الله بخاري مكتبة الغرباء الأثرية، -المدينة المنورة، ط:(١)١٤١٥هـ.

٦. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط (١٥) ٢٠٠٢ م.

٧إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(بدون).

٨-اقتضاء الصراط المستقيم، لتقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل دار عالم، - بيروت - ط:(٧)، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٩. إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي -القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ط (١) ١٤٠٦ هـ -١٩٨٢م.

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي - بيروت ط(١) -١٤١٨ هـ.

١١-الإيمان، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر الدين الألباني ط(٣)١٣٩٩ه.

١٢. الإيمان، للحافظ محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي مؤسسة الرسالة - بيروت - ط(٢) ١٤٠٦هـ.

١٣. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل دار الفكر -بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٤. البداية والنهاية، للحافظ إسماعيل ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، -بيروت لبنان، ط(١).

١٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، -بيروت لبنان، ط:(١).

١٦. البر والصلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية، -بيروت لبنان ط:(١)١٤١٣هـ.

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية ط (بدون).

١٨. تاريخ الأنبياء، لمحمد الطيب النجار، مكتبة المعارف، ط:(٢) ١٤٠٣هـ.

١٩. تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ط:(١)١٤١٧هـ.

٢٠. التحرير والتنوير، للأستاذ محمد الطاهر عاشور. الدار التونسية للنشر تونس١٩٨٤م.

٢١. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المبار كفوري، دار الكتب العلمية -بيروت، ط(٤) ١٤١٧هـ.

٢٢. التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية -بيروت، ط(٣) ١٤٠٨هـ.

٢٣. تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ط(١) -١٤١٩هـ.

٢٤. تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الحميري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط (١).

٢٥. تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة -بيروت، ط(٢).

٢٦. تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة -بيروت، ط(٢) ١٣٩٥هـ.

٢٧. التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة: (٢) ١٩٩٦م.

٢٨. التمهيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٢٩. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط(١).

٣٠. تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط(١)، ١٤٠٤هـ.

٣١. تهذيب السنن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، -تحقيق: أحمد شاكر وحامد الفقي دار المعرفة بيروت ط (بدون).

٣٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: د. بشارعواد مؤسسة الرسالة، -بيروت، ط:(١) ١٤٠٠ هـ.

٣٣تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، - بيروت، ط(١).

٣٤.التوحيد، لمحمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا ط(١)، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م.

٣٥. توضيح شجرة الإيمان، لعبد الرحمن السعدي، ط (بدون)

٣٦. التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري عالم الكتب القاهرة (١) ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٧ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، دار المدني، ١٤٠٨هـ.

٣٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. ط(بدون).

٣٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، بيروت ط(١) ١٤٢٠هـ

٤٠. جامع العلوم والحكم، للحافظ عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط -إبراهيم باجس مؤسسة الرسالة، -بيروت ط(٧) ١٤٢٢هـ.

٤١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، -القاهرة، ط:(٢)١٤٠٨هـ.

٤٢. الجواب الكافي لم سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار عالم الفوائد، -مكة المكرمة، ط:(١)١٤٢٩هـ.

٤٣. الحجة في بيان المحجة، لإسماعيل بن محمد الفضل الأصفهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم -دار الراية -الرياض ط(٢) ١٤١٩هـ -١٩٩٩م

٤٤. حلية الأولياء، لأحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، ط(١)١٤١٢هـ.

٤٥. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأحمد بن عبد الله الخزرجي، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، -حلب بيروت، ط(٥)١٤١٦هـ.

٤٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث - القاهرة ط(١) ١٤٢٤هـ.

٤٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، -دار الأندلس، بيروت ط(١) ١٤٠٢هـ.

٤٨. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار السلام، -القاهرة، ١٤٢٨هـ.

٤٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود بن عبد الله الألوسي دار الكتب العلمية -بيروت ط(١)١٤١٥هـ.

٥٠. زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة،ط(٢) ١٤٠٥هـ.

٥١.السلسلة الصحيحة، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض، ط:(١)١٤١٥هـ.

٥٢. سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول لحافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة السوادي، ط(١) ١٤٢٢هـ.

٥٣. سـنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشـعث السجستاني، المكتبة العصرية، -صيدا بيروت .

٥٤.سـنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط(٢)١٣٩٥هـ.

٥٥. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المختصين إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،ط(٧) ١٤١٠هـ.

٥٦. شـذرات الذهـب، لعبد الحـي ابن العمـاد الحنبلي، تحقيـق: محمود الأرنـاؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط دار ابن كثير، دمشق - بيروت ط(١)، ١٤٠٦ هـ .

٥٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد الزهراني دار طيبة - الرياض (٥)١٤١٨هـ.

٥٨.شـرح السنة، لحسـين بن مسـعود الفراء البغوي، المكتب الإسـلامي، -دمشق بيروت، ط:(٢)١٤٠٣هـ.

٥٩. شرح صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي، دار الراية للتراث،ط(١) ١٤٠٧هـ.

٦٠. الشـريعة، لأبـي بكـر محمـد بن الحسـين الآجـري، دار الوطـن الرياض-السـعودية، ط:(٢)١٤٢٠هـ

٦١. الشـيخ حافـظ الحكمي حياتـه وجهوده العلمية، لزيـد بن محمد المدخلـي، دار علماء الأسلاف - الإسكندرية، ط(٢) ١٤١٣هـ.

٦٢. الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني، الناشر: الحرس الوطني السعودي المملكة العربية السعودية.

٦٣. الصـحاح، لإسـماعيل بـن حماد الجوهري تحقيـق: أحمد عبد الغفور عطـار دار العلم للملايين - بيروت، ط(٢) ١٤٠٤هـ.

٦٤. صـحيح البخاري، لمحمد بن إسـماعيل البخاري، دار ابن كثير -دمشق بيروت، ط(٤) ١٤١٠هـ.

٦٥. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر لبنان-بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٦. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سـعد البصري، مكتبة العلوم والحكم، -المدينة المنورة، ط(٢)١٤٠٨هـ.

٦٧. طبقات الحنابلة، لأبي الحسـين ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة

بيروت.

٦٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر ط(٢) ١٣٩٤هـ

٦٩. عدة الصابرين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار ابن كثير، -دمشق، ط:(٣)١٤٠٩هـ.

٧٠. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، مطبعة المدني - مصر.

٧١. العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، أضواء السلف-الرياض، ط:(٢) ١٤٢٠هـ.

٧٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأحمد بن حسين بن علي رسلان الرملي بيت الأفكار الدولية. ط(بدون)

٧٣. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٧٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية، -المدينة المنورة ط(١) ١٤١٧هـ.

٧٥.فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، عالم الكتب - بيروت (بدون)

٧٦. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، - القاهرة مصر.

٧٧. فيض القدير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى-مصر، ط(١) ١٣٥٦هـ.

٧٨.القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. ط(٨)، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٧٩. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد بن صديق القنوجي تحقيق: د. عاصم القريوتي دار النشر: بدون ط(١).١٤٠٤هـ. - ١٩٨٤م.

٨٠. الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤١٩هـ.

٨١. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بمن مكرم بن منظور، دار صادر-بيروت

ط(١) ١٤١٠هـ.

٨٢. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية ط(٢) -١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٨٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسين نور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي- القاهرة،١٤١٤، هـ.

٨٤. مجموع الأوابد واقتناص الفوائد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -قطر ١٤٣٢هـ. ط(١) .

٨٥. مجموع فتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٨٦. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت - صيدا ط(٥) ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٨٧. مدارج السالكين بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين»، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار الكتاب العربي-بيروت، ١٣٩٢هـ.

٨٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: مجموعة من المختصين بإشراف شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ط(٢) ١٤٢٠هـ.

٨٩. مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت، ط(٣) ١٩٨٥م.

٩٠. معالم التنزيل في تفسير القرآ لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي - بيروت ط(١) ، ١٤٢٠ هـ

٩١. المعجم الكبير. لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي مكتبة ابن تيمية -القاهرة ط(١).

٩٢. معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، دارإحياء التراث العربي-بيروت ط(بدون).

٩٣. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لجلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب- القاهرة، مصر ط(١).

٩٤. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، دار إحياء للتراث العربي، - بيروت لبنان ط(١) ١٤٢٤هـ.

٩٥. مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي دار إحياء التراث العربي بيروت

ط(٣)١٤٢٠هـ.

٩٦.مفتاح دار السعادة، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار الكتب العلمية -بيروت.

٩٧.المفردات في ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، الدار الشامية-دمشق-بيروتط:(١)١٣١٢هـ.

٩٨.ميزان الاعتدال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، -لبنان ط:(١)١٣٨٢هـ.

٩٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة.

١٠٠.النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية -بيروت ،١٣٩٩م.

١٠١.الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي مكتبة السوادي للتوزيع ط (٤)١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.

١٠٢.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط (١)١٩٩٤م.